نور المحراب

في

خُطَب العقيدة والفقه والآداب

١٠٠ خطبة شاملة لمواضيع العقيدة والفقه والآداب

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

فإن الدعوة إلىٰ الله ﷻ منزلتها عظيمة عند الله ﷻ ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

وهي سبب بقاء الخيرية في هذه الأمة ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وهي من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران:١٠٤].

وهي امتثالٌ لأمرِ الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:١٢٥].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

وأجرها عند الله ﷻ عظيم، فهي أفضل من التصدُّق بأنفس وأغلىٰ الأموال:

«**وَاللهِ لَأَنْ يُهْدَيَ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**(٢)»(٣).

والدعاة إلىٰ الله هم الرابحون يوم يخسر الناس، وهم السعداء يوم يشقىٰ الناس ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:٢-٣].

فالناس كلُّهم خاسرون يومَ القيامة إلا من حقق هذه الأمور الثلاثة:

الأول: الإيمان الله ﷻ، والعِلم.

الثاني: العمل بما عَلِمَ.

الثالث: الدعوة إلىٰ الله بما عَلِمَ.

والدعاة لهم مثلُ أجرِ كل ما دعوا إليه من الطاعات؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٩)، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) حُمْر النَّعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٧٨)].

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦)، عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٥١٢٩)، عن أبي مسعود رضي الله عنه، والترمذي (٢٦٧٠)، واللفظ له، عن أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني.

وَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»(١).

وفي هذا الكتاب يجد الداعيةُ، والخطيبُ ما يُعينهُ على الدعوةِ إلى الله ﷻ بأسلوبٍ سهلٍ مُيَسَّرٍ، وقد اشتمل على غالب ما يحتاجه عوام المسلمين من العقائد، والأحكام الفقهية، والآداب الشرعية، وقد قسَّمتُهُ ثلاثةَ أقسامٍ:

القسم الأول: خطب العقيدة.

القسم الثاني: خطب الفقه.

القسم الثالث: خطب الآداب.

القسم الرابع: خطب العيدين، والاستسقاء.

وقد سألني شيخُنا الجليل **وحيد بن عبد السلام بالي** حفظه الله تعالى أن أكْتبَ كتَابًا جامعا في العقيدة، والفقه، والآداب؛ لكي يوزعَ على الخطباء في دُول إفريقيا، ويترجمَ إلى اللغات الأجنبية؛ ليستعين به الخُطباء في خطبهم، فامتثلتُ أمره؛ رجاءَ أن يكتبَ اللهُ لي أجر من دلَّ على خيرٍ، أو علَّمه، فأسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

عملي في هذا الكتاب:

١. اعتمدت على الكتاب، والسنة النبوية الصحيحة في تكوين هذه الخطب.
٢. كل خطبة تشتمل على مقدمة، وخطبتين، ودعاء.
٣. عرضت الخطب بأسلوب سهل ميسور؛ ليفهمها السامع فيعمل بها، وليسهُل ترجمتها إلى اللغات الأخرى.
٤. خرَّجت الآيات باسم السورة، ورقم الآية.
٥. خرَّجت الأحاديث تخريجا متوسطا؛ فإن كان الحديث مخرَّجا في الصحيحين اكتفيت به، وإلا خرَّجته من السنن الأربعة، ومسند الإمام أحمد.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤)،عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٦. اعتمدت في تصحيح الأحاديث وتحسينها على أحكام الشيخ الألباني غالبا.
٧. قدمت تخريج الحديث، فمثلا أقول: رَوَى البُخَارِيُّ، ومُسْلِمٌ عن كذا، أو: رَوَى البُخَارِيُّ عن كذا، أو: رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بسند صحيح، ونحوه؛ ليطمئن السامع إلى صحة الحديث، وغالبُ تخريجات قسم خطب الآداب منقولة من كتاب الآداب الإسلامية لشيخنا حفظه الله.
٨. شرحت غريب الألفاظ الواردة في الأحاديث النبوية في الحاشية معتمدا على كتب غريب الحديث، وغيرها من كتب شروحات السنة النبوية.
٩. الأدعية الواردة في نهاية كل خطبة من الأدعية المنصوص عليه في الكتاب أو السنة النبوية الصحيحة.
١٠. عملت ثبْتًا بالمصادر، والمراجع التي استعنت بها.
١١. عملت فهرسا عاما للخطب التي ذكرتُهَا في الكتاب.

فنسأل الله العظيم الكريم أن يجعلنا من الداعين إليه، السالكين سبيلَ الأنبياء والمرسلين، كما نسأله ﷻ أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يحشرنا، ومشايخنا، وآباءنا، وأمهاتنا، وأزواجنا، وذرياتنا مع النبي ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة.

إنه نعم المولى، ونعم النَّصير.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

٢١ شعبان ١٤٣٨ هجريا

١٨ مايو ٢٠١٧م


القسم الأول:
خطب العقيدة

١ـ صحح إيمانك

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**صحِّح إيمانك**».

وسوفَ ينتظمُ بعونِ الله وتوفيقهِ حولَ ثلاثةِ محاور:

المحور الأول: لماذا الإيمان أولا؟

المحور الثاني: ما هو فضل علم التوحيد؟

المحور الثالث: هل يجوز أن نثبت لله ولملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر شيئا

لم يرد في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ؟

والله أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

المحور الأول: لماذا الإيمان أولا؟

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن تعلُّم التوحيد يثمرُ ثمراتٍ عظيمةً في نفس العبد المؤمن، منها:

١- **أنه يصحح إيمانك بأركانه الستة** [الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره].

٢- **يعرفك علىٰ صفات الله وأسمائه ومعانيها**، فيزداد بذلك حبُّك لربك، وإقبالُكَ علىٰ طاعته ﷻ.

٣- **يجنبك الوقوع في البدع، ومخالطة أهلها**؛ فإذا عرَفتَ السنة تجنبت البدعة.

٤- **يجعلك تتبع السلف الصالح**، وهم الصحابة ﵃، والتابعون لهم بإحسان.

٥- **الإيمان بالله أعظم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.**

قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٩].

فالسعادة في الدنيا والآخرة متوقفة علىٰ الإيمان بالله ﷻ.

٦- **يقوِّم جوارحك، وقلبك**؛ فإذا آمنت بأسماء الله وصفاته أثمر ذلك خوفك

من عذاب الله، ورجاءك فيما عند الله؛ وإذا آمن بأن الله هو الرزاق توكلتَ عليه وحده في جلب الرزق دون ما سواه؛ وإذا آمنت بأن الله يسمعك ويراك، فلن تقول قولا، أو تفعل فعلا يغضب الله ﷻ.

- ✓ فلن تكذب؛ لأنك توقن بأن الله يسمعك.
- ✓ ولن تغتاب أحدا؛ لأنك توقن بأن الله يسمعك.
- ✓ ولن تسمع الأغاني؛ لأنك توقن أن الله يسمعك.
- ✓ ولن تنظر إلىٰ امرأة لا تحلُّ له؛ لأنك توقن أن الله يراك.
- ✓ ولن تتكاسل عن الصلاة؛ لأنك توقن أن الله يراك.

فالذي يكذبُ إنما يكذب؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله السميع.

والذي يغتابُ إنما يغتاب؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله السميع.

والذي يسمع الأغاني إنما يسمعها؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله السميع.

والذي يتكاسل عن الصلاة إنما يتكاسل عنها؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله البصير.

والذي ينظرُ إلىٰ المتبرجات، إنما ينظر إليهن؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله البصير.

والذي يظلم إخوانه المسلمين، إنما يظلمهم؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان بأن الله ينتقم من الظالمين.

والذي يتجرأ علىٰ معصية الله، إنما يفعل ذلك لأجل أنه حدث عنده خلل في

الإيمان باسم الله شديد العقاب.

والذي ييأس من رحمة الله، إنما يفعل ذلك؛ لأنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله الغفار.

أيها العاصي المتجرِّئُ علىٰ معصية ربك...

كيف يكون حالك لو أنك تعمل في مؤسسة مديرُها ناظرٌ إليك؟

هل ستتجرأ علىٰ فعل أو قول شيء لا يُرضيه؟؟

فمالَك تتجرأ علىٰ معصية ربِّك؟؟

ومالَك تتجرأ علىٰ ما لا يرضي ربَّك؟؟

ألا تعلم أن الله يرَاك؟؟

ألا تعلم أن الله ناظرٌ إليك؟؟

ألا تعلم أن الله يسمعُك؟؟

ألا تعلم أن الله يعلم ما تُخفيه في نفسك؟؟

ألا تعلم أن الله يحيط بك علما؟؟

ألا تعلم أن الله قادر علىٰ الانتقام منك؟؟

فلماذا لا تحافظ علىٰ الصلوات الخمس في جماعة؟

ولماذا تسمع الأغاني؟

ولماذا تنظر إلىٰ المتبرجات؟

ولماذا تكذب في حديثك مع الناس؟

المحور الثاني: ما هو فضل علم التوحيد؟

١- اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن أول ما يجب على العبيد هو إفراد الرب ﷻ بالتوحيد.

رَوَىٰ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنِ ابنِ عبَّاسٍ ﵁، قال: لما بعثَ النبيُّ ﷺ معاذًا نحوَ

اليمنِ قالَ لـهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[١].

٢- والغاية والهدف من خلق اللهِ الجن و الإنس هي عبادة الله وحده.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

٣- والله ﷻ لا يقبل من العبد عبادة حتى يكون مؤمنا موحِّدًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر:٦٥].

فمن اجتهد في العبادة اجتهادا كبيرا، ولم يوحد الله، فلا ينفعه اجتهاده.

رَوَىٰ مُسْلِمٌ عنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»[٢].

ورَوَىٰ البُخَارِيُّ عنْ عبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[٣].

٤- لذلك كان التوحيد هو أصل دعوة النبين و المرسلين.

فما من نبي أرسله الله ﷻ إلا كان أصل دعوته التوحيد؛ كما قال الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٩٠)، ومسلم (١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٩٧).

[النحل:٣٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ(١)، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ(٢) وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ(٣)»(٤).

فدين جميع الأنبياء واحد وهو الإسلام، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قال الله تعالىٰ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة:٤٨].

أقول قولي هذا، وأستغفرُ اللّهَ لي، ولكم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للّه وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشُّرفا، وبعد..

المحور الثالث: هل يجوز أن نثبت لله وللائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر شيئا لم يرد في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ؟

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنه لا يجوز لأحد أن يثبت لله، أو لملائكته، أو لكتبه، أو لرسله، أو لليوم الآخر، أو للقدر شيئا لم يرد في كتاب الله ﷻ، أو سنة رسوله ﷺ الصحيحة.

---

(١) أولاد العلات: هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ١١٩)].

(٢) أمهاتهم شتى: أي شرائعهم مختلفة. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٤٣)].

(٣) دينهم واحد: المراد به أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالى، وإن اختلفت صفتها، وأصول التوحيد والطاعة جميعا. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ١٢٠)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٩)، مسلم (٢٣٦٥).

وإنما يجب علينا الوقوف علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة الصحيحة، فلا يزاد فيها، ولا يُنقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالىٰ من الأسماء والصفات، فوجب الوقوف علىٰ النص.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتىٰ يقوموا بعبادة الله علىٰ علم وبصيرة، فتتابع رسلُ الله علىٰ تبليغه، وبيانه كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنه يجب علينا أن نتعلمَ من التوحيد والإيمان ما نصحح إيماننا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرها.

وكذلك يجب علينا أن نعلِّم ما تعلَّمناهُ للناس جميعا؛ ليسودَ الخير، ولتتنزل علينا البركات من السماء، والأرض.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

الدعاء...

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- اللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مؤمنين.
- ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.
- ربنا أفرغ علينا صبرا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

- ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.
- ربنا إننا آمنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وقنا عذاب النار.
- ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.



٢ـ أصول الإيمان بالله ﷻ

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**أصولُ الإيمَانِ باللهِ ﷻ**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أحسنَهُ، أولئك الذين هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أولو الألباب.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنه يجب على كل عبد أن يؤمن بأصول الإيمان الستة التي ورد ذكرها في القرآن والسنة النبوية، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه،

ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

رَوَىٰ مُسْلِمٌ عنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

والإيمانُ باللهِ تعالى هو أهمُّ أصولِ الإيمانِ، وأعظمُها شأنًا، وأعلاهَا قدْرا، بل هو أصلُ أصولِ الإيمانِ، وأساسُ بنائِه، وبقيّةُ الأصولِ متفرِّعةٌ منه، راجعةٌ إليه، مبنيَّةٌ عليه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

واعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن للإيمان أصولا أربعة يقوم عليها يجب على كل عبد أن يؤمن بها، وهي:

١- الإيمانُ بوجودِ اللهِ تعالى: ومعناه أن تعتقد أن الله تعالى موجود، ولا تنكر وجوده تعالى.

٢- الإيمانُ بربوبيةِ الله تعالى: ومعناه أن تعتقد أن الله تعالى هو الخالق، المدبر، المالك، وأن السيدَ لهذا الكونِ هو الله لا شريكَ له.

٣- الإيمانُ بأُلوهية الله تعالى: ومعناه أن تصرف عباداتِك كلها لله وحده تعالى، ولا تجعل فيها نصيبًا لغيره تعالى، كالصلاةِ، والذبحِ، والخوفِ، والرجاءِ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

٤- **الإيمانُ بأسماء الله، وصفاته:** ومعناه أن تعتقد أن الله ﷻ له أسماء حسنىٰ، وصفات عليا لا يشبه شيء منها صفاتِ المخلوقين، وتثبتَ لله ﷻ ما ثبت له من الأسماءِ، والصفات المذكورة في القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، ولا تُشرك معهُ أحدًا فيها.

فهذه أصولٌ أربعةٌ يقومُ عليها الإيمانُ بالله، ولا يَصحُّ إيمانُ عبدٍ حتىٰ يؤمنَ بها كلها.

والواجبَ على كل عبد أن يؤمنَ بأن الخلْقَ، والرَّزقَ، والسيادةَ، والإنعامَ، والتصويرَ، والعطاءَ والمنعَ، والنفعَ والضرَّ، والإحياءَ والإماتةَ، والتدبيرَ المحكَمَ، والقضاءَ والقدرَ، وغيرَ ذلك من أفعاله ﷻ لا شريكَ لله ﷻ فيها.

قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

وقال اللهُ تَعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠-١١].

وقال اللهُ تَعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

ورَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ**

بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١).

ومن حقَّق توحيدَ الربوبيةِ حصلَ له الرضا بما رزقَه اللهُ به، والسعادةُ بما أعطاه اللهُ في الدنيا، وبما ادُّخِر له ليومِ القيامةِ.

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

ويجب على كل عبدٍ أن يجعل عباداتِه كلَّها للهِ وحده ﷻ كالأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ، والتصديقِ، والصلاةِ، والذبحِ، والخوفِ، والمحبةِ، وغيرِ ذلك من أنواعِ العبادةِ.

قَالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

والطاغوتُ: هو كلُّ ما عُبِدَ من دونِ اللهِ ﷻ.

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فَقِيرِهِمْ»(١).

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»(٢).

وروى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ؓ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»، وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو للهِ نِدًّا دَخَلَ الجَنَّةَ(٣).

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ مُعَاذٍ ؓ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لهُ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٤).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٧٢)، واللفظ له، ومسلم (١٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٩)، ومسلم (٩٣)، واللفظ له.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٤٩٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا،

وبعد . .

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنَّ مَن صرَفَ شيئًا من أنواعِ العبادةِ لغير الله ﷻ فهو مشركٌ كافرٌ.

والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧].

ولا ريبَ أن توحيدَ الألوهيةِ هو الَّذِي خلقَ اللهُ الجنَّ والإنسَ لأجله، وخَلَق المخلوقاتِ، وشَرَع الشرائعَ لقيامِهِ، وبوجودِهِ يكونُ الصلاحُ، وبفقدِهِ يكون الشرُّ والفسادُ، ولذا كانَ هذا التوحيدُ غايةَ دعوةِ الرسلِ، وأساسَ دعوتِهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقد دلَّ القرآنُ الكريمُ في مواطنَ عديدةٍ أنَّ توحيدَ الألوهيةِ هو مِفتاحُ دعوةِ الرسلِ، وأنَّ كلَّ رسولٍ يبعثُه الله يكونُ أولَ ما يدعو قومَه إليه توحيدُ الله وإخلاصُ العبادةِ لهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف:٦٥].

وقالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٧٣].

وقالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٨٥].

الدعاء...

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.
- ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكَفِّر عنَّا سيئاتِنا، وتوفنا مع الأبرار.
- اللهم لا تُزغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا.
- ربنا اغفر لنا، ولوالدينا، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.
- ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين.
- اللهم ألِّفْ بين قلوبِنا.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٣ـ الواجب علينا نحو أسماء الله ﷻ وصفاته

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**الواجب علينا نحو أسماء الله ﷻ وصفاته**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أحسنَهُ، أولئك الذين هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أولو الألباب.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن أسماءَ اللهِ وصفاتِه توقيفيةٌ لا مجالَ للعقلِ فيها، أي يتوقفُ إثباتُها على ما جاءَ عن الشرعِ فلا يُزادُ فيها ولا يُنقصُ؛ لأنَّ العقلَ لا

يمكنُه إدراكُ ما يستحقُّه تعالى من الأسماءِ فوجبَ الوقوفُ في ذلك على ما جاءَ في القرآنِ العظيم، والسنةِ النبويةِ الصحيحةِ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

وأسماءُ اللهِ كلُّها حسنى أي بالغةٌ في الحُسنِ غايتَه، فلا أحسن ولا أكمل منها؛ لأنها متضمِّنةٌ لصفاتٍ كاملةٍ لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوهِ، كَمَا قالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وذلك لدلالتِها على أحسنِ مُسمًّى وأشرفِ مدلولٍ وهو اللهُ ﷻ، ولأنَّها متضمِّنةٌ لصفاتٍ كاملةٍ لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوهِ.

مثالُ ذلك: «**الحي**» اسمٌ من أسماءِ اللهِ تعالى متضمِّنٌ للحياةِ الكاملةِ التي لم تُسبقْ بعدمٍ ولا يلحقُها زوالٌ، الحياةُ المستلزِمةُ لكمالِ الصفاتِ من العلمِ والقدرةِ والسمعِ والبصرِ وغيرِها.

وأما حياةُ المخلوقِ، فهي حياةٌ ناقصةٌ؛ لأنها مسبوقةٌ بعدمٍ، ويلحقُها، زوالٌ وفَناءٌ.

ومثالٌ آخرُ: «**العليم**» اسمٌ من أسماءِ اللهِ تعالى متضمِّنٌ للعلمِ الكاملِ الَّذِي لم يُسبقْ بجهلٍ، ولا يَلحقُه نِسيانٌ.

قالَ اللهُ تَعَالَى ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢].

وعلـمُ اللهُ علمٌ واسعٌ محيطٌ بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا سواءٌ ما يتعلقُ بأفعالِـه، أو أفعـالِ خلقِه.

كما قالَ اللهُ تَعَالَى ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩].

أما علمُ الإنسانِ فعلمٌ ناقصٌ؛ لأنَّه مسبوقٌ بجهلٍ، ويَلحقُه النسيانُ.

وأسماءُ اللهِ غيرُ محصورةٍ بعددٍ معيَّنٍ.

لِمَا رواهُ الإمام أحمد عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسْعُودٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ(١)، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**»، قَالَ: **فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَىٰ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»**(٢).

فقولُه ﷺ: «**أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ... أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**» يدلُّ على أَنَّ أسماءَ الله ﷻ غيرُ محصورةٍ في عددٍ معيَّنٍ.

أمَّا حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٣).

فَليسَ معناهُ أن أسماءَ الله ﷻ تسعةٌ وتسعونَ اسمًا فقط، وإنما معناهُ: أن منْ أسماءِ الله ﷻ تسعةً وتسعينَ اسمًا.

---

(١) من خلقك: أي من ملائكتك، أو رسلك.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٧١٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٣٨٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

ونظيرُ ذَلكَ أن تقولَ: لزيدٍ ألفُ درهمٍ أعدَّها للصدقةِ، أو: لعمرٍو مائةُ ثوبٍ من زارَه ألبسَه إياهَا.

وليس معنى ذلك أنه لا يوجد عنده غيرها.

وإنما خصَّها النبيُّ ﷺ؛ لكونها أكثرَ الأسماءِ، وأبينَها معاني(١).

وليس المعنى أنه ليس له غير هذه الأسماء.

ويجب علينا تنـزيهُ اللهِ ﷻ عن أن يُشبِهَ شيءٌ مِن صفاتِه شيئًا من صفاتِ المخلوقينَ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١].

كما يجب علينا ألا نطمع في إدراكِ حقيقةِ كيفيةِ صفاتِ الله تعـالى؛ لأنَّ إدراكَ المخلوقِ لذلك مستحيلٌ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه:١١٠].

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنه لا يجوز لأحد أن يغير شيئًا من صفات الله تعالى.

فلا يجوز تحريفِ كلمةِ استوى فِي قَولِهِ تَعَالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥] إلى استولى.

والصوابُ أن يقولَ: استواءٌ حقيقيٌّ يليقُ بجلالِه وعظمتِه، لا نؤوِّلُه، ولا نُمَثِّلُه.

ولا يجوز تفسيرُ «**يد الله تعالى**» بالقوةِ، أو النِّعمةِ.

ولا يجوز تفسيرُ «**وجه الله تعالى**» بالثوابِ.

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٢٢٠).

ولا يجوز تفسيرُ «**عين الله تعالى**» بالرَّعايةِ.

وهذا كله باطلٌ، والصوابُ أن نقولَ: نثبتُ لله يدينِ، ووجهًا، وعينين على الوجهِ اللائقِ به سبحانَه لا نؤوِّلُ شيئًا من هذا، نُمَثِّلُهُ؛ لقَولِهِ تَعَالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

ولا يجوز لنا تمثيل صفات الله بصفات المخلوقين.

كمَن يقولُ: يدُ الله كيدِ الإنسانِ، أو: عينُ الله كعينِ الإنسانِ، ونحوِه.

وكمَن يقولُ: عينُ الإنسانِ كعينِ اللهِ، أو: يدُ الإنسانِ كيدِ اللهِ، ونحوِه.

فهذَا باطلٌ لا يجوز؛ لأن صفات الله ﷻ لا تشبه صفات المخلوقين؛ لقولِ الله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

فهذا هو الواجب علينا نحو أسماء الله تعالىٰ: أن نعلم أنها توقيفية غير محصورة بعدد، وأنها كلّها حسنىٰ، وأنه لا يجوز لأحد أن يغير منها شيئا.

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشُّرفا، وبعد..

فإن الغاية من تعلمِ الأسماء والصفات أن تؤثرَ في سلوكك، فإذا حققنا الإيمان بأسماء الله وصفاته انصلحت أحوالنا كلها، وانصلح المجتمع بأثره.

فإذا آمنا بأن الله هو الرزاق توكلنَا عليه وحده في جلب الرزق دون ما سواه.

وإذا آمنا بأن الله يسمعنا ويرنا، فلن نقول قولا، أو نفعل فعلا يغضب الله ﷻ.

- ✓ فلن نكذب؛ لأننا نوقن أن الله يسمعنا.
- ✓ ولن نغتاب أحدا؛ لأننا نوقن أن الله يسمعنا.

- ✓ ولن نسمع الأغاني؛ لأننا نوقن أن الله يسمعنا.
- ✓ ولن ننظر إلىٰ امرأة لا تحلُّ له؛ لأننا نوقن أن الله يرانا.
- ✓ ولن نتكاسل عن الصلاة؛ لأنك لأننا نوقن أن الله يرانا.

فالذي يكذبُ إنما يكذب؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله السميع.

والذي يغتابُ إنما يغتاب؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله السميع.

والذي يسمع الأغاني إنما يسمعها؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله السميع.

والذي يتكاسل عن الصلاة إنما يتكاسل عنها؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله البصير.

والذي ينظرُ إلىٰ المتبرجات، إنما ينظر إليهن؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان باسم الله البصير.

والذي يظلم إخوانه المسلمين، إنما يظلمهم؛ لأجل أنه حدث عنده خلل في الإيمان بأن الله ينتقم من الظالمين.

أيها العاصي المتجرِّئُ علىٰ معصية ربك...

كيف يكون حالك لو أنك تعمل في مؤسسة مديرُها ناظرٌ إليك؟

هل ستتجرأ علىٰ فعل أو قول شيء لا يُرضيه؟؟

فمالَك تتجرأ علىٰ معصية ربِّك؟؟

ومالَك تتجرأ علىٰ ما لا يرضي ربَّك؟؟

ألا تعلم أن الله يرَاك؟؟

ألا تعلم أن الله ناظرٌ إليك؟؟

ألا تعلم أن الله يسمعُك؟؟

ألا تعلم أن الله يعلم ما تُخفيه في نفسك؟؟

ألا تعلم أن الله يحيط بك علما؟؟

ألا تعلم أن الله قادر علىٰ الانتقام منك؟؟

فلماذا لا تحافظ علىٰ الصلوات الخمس في جماعة؟

ولماذا تسمع الأغاني؟

ولماذا تنظر إلىٰ المتبرجات؟

ولماذا تكذب في حديثك مع الناس؟

نسأل الله العفو، والعافية.

الدعاء . . . .

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا.
- ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين.
- ربنا ارحمنا فإنك بنا راحم.
- ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما.
- ربنا اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.
- ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة. .

❑ ❑ ❑

٤ـ حقيقة العبادة

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**حقيقة العبادة**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أحسنَهُ، أولئك الذين هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أولو الألباب.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن الله ﷻ خلقنا ؛ لكي نعبده سبحانه وتعالى.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

ورَوَىٰ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ مُعَاذٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لهُ: «**يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١).

والعبادةُ: هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويرضَاهُ من الأقوالِ، والأعمالِ الظاهرةِ، والباطنةِ(٢).

فالأقوالُ الظاهرةُ: هي أقوالُ اللسانِ، كالشهادتينِ، والتسبيحِ، والتهليلِ، وردِّ السلامِ، ونحوِه.

والأقوالُ الباطنةُ: هي أقوالُ القلبِ، كاليقينِ، والتصديقِ، ونحوِه.

والأعمالُ الظاهرةُ: هي أعمالُ الجوارحِ، كالصلاةِ، والصيامِ، والزكاةِ، والنذرِ، والطوافِ، ونحوِه.

والأعمالُ الباطنةُ: هي أعمالُ القلبِ، كالخوفِ، والرجاءِ، والمحبةِ، والخشيةِ، والإنابةِ، ونحوِه.

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلىٰ الجار واليتيم والمسكين

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ١٤٩).

وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله، ورسوله ﷺ، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحُكمه، والشكر لنعمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله[١].

ومن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك بالله العظيم، كمن ذبح لغير الله، أو صلى لغير الله، أو طاف لغير الله، ونحوه.

والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى متوعدا من أشركَ به غيره، وعبدَ معه سواه، ومخبرًا أن من أشرك بالله ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ﴾ أي: لا دليل له على قوله، فقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: الله يحاسبه على ذلك.

ثم أخبرَ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ أي: لديه يوم القيامة، لا فلاح لهم ولا نجاة»[٢].

ومن أجل العبادات التي أمرنا الله ﷻ أن نتعبد له بها: المحبة، والخوف، والاستعانة، والاستغاثة.

أما المحبة التي يجب صرفها لله وحده، فهي التي يكونُ معها ذُلٌّ وخضوعٌ، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥٠٢).

وهناك محبةٌ طبيعيةٌ: وهي محبةُ الولدِ، أو المالِ، أو الزوجةِ، فهذه لا تُعدُّ من العبادةِ؛ لأنها لا تقترنُ بالذلِّ، والخضوعِ، فإذا قُدِّمتْ محبةُ هذه الأشياءِ على محبة اللهِ تعالى، فإنه يترتبُ عليه وعيدٌ شديدٌ، كما قالَ اللهُ تعَالَى ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٤].

فإذا تعارضت العبادة مع المال أو التجارة وجب تقديم العبادة.

وإذا تعارضت العبادة مع طاعة الوالدين أو الأهل أو الزوجة وجب تقديم العبادة.

أما الخوف الذي يجب صرفه لله وحده، فهو الذي يكونُ معه ذُلٌّ وخضوعٌ، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك.

وهناك خوف طبيعي: وهو الخوف من السَّبُعِ، وهذا لا يُلامُ عليه العبدُ، قالَ اللهُ تعَالَى ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨].

أما إذا تسببَ الخوفُ في تركِ واجبٍ، أو فعْلِ محرَّمٍ كان حرامًا.

أما الاستعانة التي يجب صرفها لله وحده، فهي التي تكون في شيء لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، وهي الاستعانةُ المتضمِّنة لكمالِ الذلِّ من العبدِ لربِّه، وتفويضِ الأمرِ إليه، وهذِه لا تكونُ إلا لله ﷻ، فلا يجوز لأحد أن يصرفها لغيرِ الله.

قال تعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وهناك استعانة جائزة وهي الاستعانةُ بالمخلوقِ على أمر يقدرُ عليه فهذِه على حسبِ المستعانِ عليهِ.

فإن كانتِ الاستعانةُ على برٍّ فهي جائزةٌ للمستعينِ مشروعةٌ للمعينِ؛ لقَولِهِ

تَعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

وإنْ كانتِ الاستعانةُ على مباحٍ فهي جائزةٌ للمستعينِ والمُعِينِ لكنِ المُعِينُ قد يثابُ على ذلك ثوابَ الإحسانِ إلى الغيرِ، ومن ثَمَّ تكونُ في حقِّه مشروعَةٌ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

وإنْ كانتِ الاستعانةُ على محرم فهي محرَّمَةٌ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة:٢].

وأما الاستغاثة التي يجب صرفها لله وحده، فهي التي تكون في شيء لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، وهي الاستغاثةُ المتضمِّنة لكمالِ الذلِّ من العبدِ لربِّه، وهذِه لا تكونُ إلا للهِ ﷻ.

والاستغاثة: هي طلبُ الغوثِ، وهو الإنقاذُ من الشدةِ والهلاكِ.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال:٩].

وهناك استغاثة جائزة: وهي الاستغاثةُ بالأحياءِ الحاضرينَ القادرينَ علىٰ الإغاثةِ، فهذه جائزةٌ كالاستعانةِ بهم فيما يقدرونَ عليه من أمورِ الدنيا؛ لقولِه تَعالىٰ في قصةِ مُوسىٰ عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا،

وبعد..

ومن أجل العبادات التي يجب علينا أن نصرفها لله ﷻ التوكلُ على الله تعالى، وهو واجبٌ لا يتمُّ الإيمانُ إلا به؛ لقولِ الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة:٢٣].

ومن أجل العبادات التي يجب علينا أن نصرفها لله ﷻ:

الرغبةُ فيما عند الله من الثواب.

والرهبة من عذاب الله.

والخشوعُ، والذلُّ لعظمةِ الله ﷻ.

قالَ اللهُ تعالَى ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

ومن أجل العبادات التي يجب علينا أن نصرفها لله ﷻ: الخشيةُ وهي خوف يصحبه تعظيم، ومحبة لله ﷻ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة:٣].

ومن أجل العبادات التي يجب علينا أن نصرفها لله ﷻ: الإنابةُ وهي الرُّجوعُ إلى الله بالقيامِ بطاعتِه واجتنابِ معصيتِه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر:٥٤].

فهذه هي حقيقة العبادة، وتلك هي أجلُّ العبادات، فاحرص أن تكون من أهلها.

الدعاء...

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا، وأنت خير الراحمين.
- ربنا اغفر لنا، وارحمنا، وأنت خير الراحمين.

- اللهم لا تُزغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا إنك أنت الوهاب.
- ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما.
- ربنا هبْ لنا من أزواجنا، وذرياتنا قرةَ أعين، واجعلنا للمتقين إماما.
- اللهم ألِّفْ بين قلوبِنا.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٥ـ حقيقة التوسل، وأقسامه

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَديثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**حقيقة التوسل، وأقسامه**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أحسنَهُ، أولئك الذين هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أولو الألباب.

لقد عرف العلماء التوسل بقولهم: هو التَّوصلُ إلىٰ رضوانِ اللهِ والجنةِ بفعلِ ما

شرَعه وتركِ ما نَهىٰ عنه.

وقد وردتْ لفظةُ «الوسيلة» في القرآنِ الكريمِ في موطنينِ:

الأولُ: قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة:٣٥].

والمرادُ بالوسيلةِ في هذه الآيةِ: القُربةُ إلى الله بالعملِ بما يرضيهِ[١].

الثاني: قولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء:٥٧].

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»[٢].

وهذا صريحٌ في أنَّ المرادَ بالوسيلةِ ما يُتقربُ بهِ إلى الله تعالى منَ الأعمالِ الصالحةِ والعباداتِ الجليلةِ، ولذلكَ قَالَ: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧]، أي يطلبونَ ما يتقرَّبونَ به إلى الله وينالونَ به مَرضاتِه من الأعمالِ الصالحةِ المقرِّبةِ إليه.

والتوسل ينقسم قسمين:

القسم الأول: توسلٌ مشروعٌ: وهو التوسلُ بالوسيلةِ الصحيحةِ المشروعةِ، والطريقُ الصحيحُ لمعرفةِ ذلك هو الرجوعُ إلى الكتابِ والسنةِ ومعرفةُ ما وردَ فيهما عنه، فما دلَّ الكتابُ والسُّنةُ على أنه وسيلةٌ مشروعةٌ فهو من التَّوسلِ المشروعِ، وما سوى ذلك فإنه تَوسلٌ ممنوعٌ لا يجوز فعله.

والتوسُّلُ المشروعُ ثلاثةُ أنواعٍ اتفقَ العلماءُ عليها، وما سِواها اختلَفَ العلماءُ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠)، واللفظ له.

فيها[(١)].

الأول: التَّوسُّلُ إلى اللهِ باسمٍ من أسمائهِ أو صفةٍ منْ صفاتِه.

مثالُه: أنْ يقولَ المسلمُ في دعائِه: اللهمَّ إني أسألُكُ بأنكَ الرحمنُ الرحيمُ أن ترْحَمَني، فهذا توسل بالاسم.

أو يقولَ: أسألكَ برحمتِك التي وسِعتْ كلَّ شيءٍ أن تغفرَ لي وترحمني، وهذا توسل بالصفة.

ودليلُ مَشْروعيته:

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ورَوَى النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، إِذَا رَجُلٌ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ غُفِرَ لَهُ**»، ثَلَاثًا[(٢)].

الثاني: التَّوسُّلُ إلى اللهِ بعملٍ صالحٍ.

مثالُه: أنْ يقولَ المسلمُ في دعائِه: اللهمَّ بإيماني بك، ومحبَّتي لك، واتباعي لرسولِك اغفر لي، أو يقولَ: اللَّهم إنِّـي أسألكَ بحبِّي لنبيِّك محمَّدٍ ﷺ، وإيماني به أن تفرِّجَ عني، أو يذكرَ الداعي عملًا صالحًا عظيمًا قامَ به فيتوسَّلَ به إلى ربِّه.

ودليلُ مَشْروعيته:

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦].

---

(١) انظر: التوسل، للشيخ الألباني، صـ (٤٢).

(٢) صحيح: رواه النسائي (١٣٠١)، وأحمد (١٨٩٧٤)، وصححه الألباني.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ.

فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا[١]، فَنَأَى بِي[٢] فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ[٣] عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا[٤]، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ[٥] الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا[٦]، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ[٧] مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا

---

(١) أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا: أي ما كنت أقدم عليهما أحدا في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٤١)].

(٢) فناء: أي بعد.

(٣) أرح: أي أرجع.

(٤) غبوقهما: أي شرابهما، والغبوق: شرب آخر النهار مقابل الصبوح.

(٥) برق: أي ظهر ضياء.

(٦) فأردتها عن نفسها: كناية عن طلب الجماع.

(٧) ألمت بها سنة: أي نزلت بها سنة من سني القحط، فأحوجتها.

عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي، وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ[١] إِلَّا بِحَقِّهِ[٢]، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا، وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ، وَالبَقَرِ، وَالغَنَمِ، وَالرَّقِيقِ[٣]، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[٤].

ففي هذا الحديث النبوي توسل الأول بإخلاصه في بره بوالديه.

والثاني توسل بخوفه من عذاب الله ﷻ بتركه الزنا ببنت عمه بعد أن قدر عليه.

والثالث توسل بصدقه وأمانته بإعطائه أجرة أجيره كاملة بعد أن نمَّاها له.

الثالث من أنواع التوسل المشروع: التَّوسُّلُ إلى اللهِ بطلبِ الدعاءِ منَ الرجلِ الصالحِ.

---

(١) أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ: أي تكسره، وهو كناية عن افتضاض عذرة البكر، وقد يطلق على الوطء الحرام. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٥٤)، وفتح الباري (١/ ١٦٨)].

(٢) إلا بحقه: أي لا أحل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح. [انظر: فتح الباري (٦/ ٥٠٩)].

(٣) الرقيق: أي العبيد. [انظر: تهذيب اللغة، مادة «رقق»].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (١٠٠).

مثالُه: أنْ يذهبَ المسلمُ إلى رجلٍ حيٍّ يَرى فيه الصلاحَ والتقوى، والمحافظةَ على طاعـةِ الله، فيطلب منه أن يدعوَ له ربَّه؛ ليفرِّجَ كربتَه وييسرَ أمرَه.

وهذا النوعُ من التَّوسلِ إنما يكونُ في حياةِ مَن يُطْلبُ منهُ الدعاءُ، أمَّـا بعدَ موتِه فلا يجوزُ؛ لأنَّه ميت لا يسمع حتى يستجيب لنا.

ودليلُ مَشْروعة التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي:

أن الصحابةَ ﭫ كـانوا يسألونَ النبيَّ ﷺ أنْ يَدعوَ لهم.

فقد رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عن عِمْرَانَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ الله ﷺ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**».

قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟

قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ**[1]، **وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**».

فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[2].

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد..

القسم الثاني من أقسام التوسل: التوسل الممنوع، وهو التَّوسُّلُ إلى اللهِ بما لم

---

(١) لا يسترقون: أي لا يطلبون الرقية من أحد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٠٥) عن ابن عباس، ومسلم (٢١٨)، واللفظ له.

يَثبتْ في الشرعِ أنَّه وسيلةٌ، ومقتضاهُ: أن كلَّ ما لم يثبتْ في الشريعةِ أنه وسيلةٌ إلى اللهِ تَعالى، فهو ممنوعٌ محرَّمٌ، وهو أنواعٌ بعضُها أشدُّ خطورةً من بعضٍ، ومنها[1]:

النوعُ الأولُ: التوسُّلُ إلى اللهِ بجاهِ الأنبياءِ والصالحينَ ومكانتِهم ومنزلتِهم عندَ اللهِ، وهذا محرَّمٌ، بل هو من البدعِ المحدَثةِ؛ لأنه توسُّلٌ لم يشرِّعْهُ اللهُ، ولم يأذنْ بهِ.

لقولِ الله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ﴾ [يونس:٥٩].

ولأنَّ جاهَ الصالحينَ ومكانتَهم عندَ اللهِ إنما تنفعُهُم هُم، كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ [النجم:٣٩].

ولذا لم يكنْ هذا التوسُّلُ معروفًا في عهدِ النبيِّ ﷺ وأصحابِهِ، وقد نصَّ على المنعِ منه وتحريمِه غيرُ واحدٍ من أهلِ العلمِ:

قال الإمامُ أبو حنيفةَ رحمهُ اللهُ: «يُكرَه[2] أن يقولَ الداعي: أسألُك بحقِّ فلانٍ، أو بحقِّ أنبيائِك، ورسلِك، أو بحقِّ البيتِ الحرامِ، والمشْعرِ الحرامِ، ونحوِ ذلك»[3].

النوعُ الثاني: التوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بدعاءِ الموتى والغائبينَ والاستغاثةِ بهم وسؤالِهم قضاءَ الحاجاتِ وتفريجَ الكُرُباتِ، ونحوَ ذلك، فهذا مِنَ الشركِ الأكبرِ الناقلِ من الملةِ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس:١٠٦].

---

(١) انظر: أصول الإيمان، لنخبة من العلماء، صـ (٥٧).

(٢) قوله: يُكرَه: أي يحرم.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٣٦٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ ﴾ [الأحقاف:٥].

النوعُ الثالثُ: التوسلُ إلى اللهِ بفعلِ العباداتِ عند القبورِ والأضرحةِ بدعاءِ اللهِ عندَها، والبناءِ عليها، ووضعِ المصابيحِ، والستورِ، ونحوِ ذلك، وهذا منَ الشركِ الأصغرِ المنافي لكمالِ التوحيدِ، وهو ذريعةٌ مُفضيةٌ إلى الشركِ الأكبرِ.

فهذان هما قسما التوسل، فكونوا من أهل القسم الأول، فتوسلوا إلى الله بأسمائه وصفاته، وبصالح أعمالكم، وبدعاء الصالحين، وإياكم والتوسل الممنوع.

الدعاء . . .

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- ربنا إننا ظلمنا أنفسنا، فاغفر لنا.
- ربنا نجنا من القوم الظالمين.
- اللهم ارزقنا رزقا طيبا، وعملا متقبلا، وعلما نافعا.
- اللهم أعنا على المحافظة على الصلوات في أوقاتها.
- اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ما ليس لنا به علم.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٦ـ الشرك بالله، وأنواعه

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**الشرك بالله وأنواعه**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

قد عرَّف العلماء الشركَ الأكبرَ بقولهم: هو أن يتخذَ العبد لله ندًّا يدعُوهُ كما يدعُو اللهَ ويسألُه الشفاعةَ كما يسألُ اللهَ ويرجُوهُ كما يرجو اللهَ، ويحبُّه كما يحبُ اللهَ،

وقد أخبرَ اللهُ سبحانَهُ أنَّه الذنبُ الَّذِي لا يغفرُه إلا بالتوبةِ منه قبل الموتِ.

وهو ناقلٌ من ملةِ الإسلامِ محبِطٌ للأعمالِ كلِّها، وصاحبُه إنْ ماتَ عليه يكونُ مخلَّدًا في نارِ جهنمَ لا يُقضى عليه فيموتَ، ولا يخففُ عنه من عذابِها.

قالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

وأخبرَ الله ﷻ أن من ماتَ عليه يكونُ مخلَّدًا في نارِ جهنَّمَ.

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

فهل بعد هذا الوعيد الشديد يقدم عاقلٌ على مثل هذا الذنب الشنيع؟

واعلموا عباد الله أن هناك نوعا آخرا من الشرك، وهو الشركُ الأصغرُ:

وهو كلُّ ما جاءَ في النصوصِ تسميتُه شركًا، ولم يصلْ إلى حدِّ الشركِ الأكبرِ، كالحلفِ بغيرِ الله، وقولِ: ما شاءَ اللهُ وشئتَ.

وحكمه: أنهُ محبطٌ للعملِ المقارِن، وفي الآخرةِ صاحبه تحتَ مشيئةِ اللهِ إنْ شاءَ اللهُ غفرَ له، وإنْ شاءَ عذبهُ كحكمِ مرتكبِ الكبيرةِ من المُسلمين.

واعلموا كذلك عباد الله أن للشرك أنواعا كثيرة، وصورا متعددة منها:

السِّحْرُ: وهو رقًى وعزائمُ، وعُقَد يُنْفثُ فيها فيكونُ سحرًا يضرُّ حقيقةً، ويُمرِضُ حقيقةً، ويَقتلُ حقيقةً[(١)].

والسحرُ الَّذِي فيه استخدامُ الشياطينِ والاستعانةُ بها كفرٌ، وشركٌ أكبرُ باللهِ.

لقولِ الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى

---

(١) انظر: الكافي، لابن قدامة (٥/ ٣٣١-٣٣٢).

ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة:١٠٢-١٠٣].

فلا يمكنُ للساحرِ أن يكونَ ساحرًا على الحقيقةِ إلَّا إذا تقرَّب إلى الشياطينِ؛ ولهذا فإنَّ السحرَ شركٌ بالله.

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**[1]».

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟.

قَالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**[2]**، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**[3]»[4].

والسحرُ نوعانِ[5]:

النوعُ الأولُ: سحرٌ حقيقيٌّ:

(١) الموبقات: أي المهلكات.

(٢) التولي يوم الزحف: أي الفرار عند التقاء الجيشين غير متحرِّف لقتال، أو متحيزا لفئة مؤمنة.

(٣) المحصنات المؤمنات الغافلات: أي الحرائر العفيفات عن الفواحش.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٥) انظر: شرح نواقض الإسلام، للشيخ صالح الفوزان، صـ(١٤١-١٤٤).

وهو عبارةٌ عن عملٍ يؤثِّرُ في الأبدانِ أو في القلوبِ، فيؤثِّر في الأبدانِ بالمرضِ والموتِ، ويؤثِّرُ في الفكرِ بأن يُخيَّل إلى الإنسانِ أنه فعلَ شيئًا ولم يفعلْه، أو يؤثِّرُ في القلبِ فيورثُ به كراهةً ومحبةً غيرَ طبيعيينِ، فهذا هو الصرفُ والعطفُ، وهو جلبُ محبَّةِ امرأةٍ لزوجِها، أو صرْفُ محبةِ المرأةِ لزوجِها، أو العكسِ.

و منه: سحرُ لَبيدِ بن الأعصمِ اليهوديِّ للنبيِّ ﷺ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ[1] أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ[2]، وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللهَ وَدَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَشَعَرْتِ**[3] **يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي**[4] **فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟**».

قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**جَاءَنِي رَجُلَانِ**[5]**، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟**

قَالَ: مَطْبُوبٌ[6].

قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ[7]؟

---

(١) ليخيل إليه: أي يظهر له من نشاطه وسابق عادته.

(٢) أنه يفعل الشيء، وما فعله: أي جامع نساءه، وما جامعهن، فإذا دنا منهن أخذه السحر، فلم يتمكن من ذلك.

(٣) أشعرت؟: أي أعلمت؟.

(٤) أفتاني: أي أجابني.

(٥) رجلان: أي مَلكان، قيل: هما جبريل، وميكائيل عليهما السلام.

(٦) مطبوب: أي مسحور.

(٧) طبه: أي سحره.

قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ.

قَالَ: فِي مَاذَا؟

قَالَ: فِي مُشْطٍ[١]، وَمُشَاطَةٍ[٢] وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ.

قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟

قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ».

فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَ: «**وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ**[٣]**، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**[٤]».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ؟

قَالَ: «**لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ وَشَفَانِي، وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا**[٥]»، وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ[٦][٧].

النوعُ الثاني: سحرٌ تخييليٌّ:

وهو ما يؤثِّرُ في الأبصارِ والأنظارِ، فيُرى الشيء على خلافِ ما هو عليه، كسحرِ سحرةِ فرعونَ.

---

(١) مشط: أي الآلة التي يُسرَّح بها الشعر.

(٢) مشاطة: أي في أشياء من شعره ﷺ.

(٣) نقاعة الحناء: النقاعة: الماء الذي يُنقع فيه الحناء، والحناء: نبات يُتخذ ورقه للخضاب الأحمر المعروف، وزهره أبيض كالعناقيد.

(٤) كأنها رؤوس الشياطين: أي أنها مستدقة كرؤوس الحيات، والحية يقال لها: الشيطان. وقيل: إنها وحشية المنظر، وهو مَثَل في استقباح صورتها، وهول منظرها كصورة الشياطين.

(٥) أثوِّر على الناس منه شرًّا: أي باستخراجه من الجُف؛ لئلا يروه، فيتعلموه إن أرادوا استعمال السحر.

(٦) وأَمر بها فدُفنتْ: أي أمر النبي ﷺ بالبئر، فدُفنتْ.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩).

قَالَ تَعالى حاكيًا عنْهم: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾ [الأعراف:١١٦].

فقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾، يدل على أن السحر كان في الأبصار؛ لذلك لم يقلْ: سحروا الناسَ.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ٦٦﴾ [طه:٦٦].

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشّرفا، وبعد..

فمن أنواعِ الشركِ الأكبرِ: الكَهَانةُ: وهي ادّعاءُ علمِ الغيبِ، والأصلُ فيها استراقُ الجنِّ السمعَ من كلامِ الملائكةِ فتلقيهِ في أُذُنِ الكاهنِ.

والكاهنُ: هو الَّذِي يخبر عن المغيَّباتِ في المستقبلِ، أو عما في الضميرِ.

ومن الأدلة على أن الكهانة شركٌ، وكفرٌ أكبر بالله ﷻ:

ما رواه ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[(١)].

والذي يأتي العراف أو الكاهن فيسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٩٢٩٠)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٠).

والعرَّافُ: اسمٌ للكاهنِ، والمنجِّمِ، والرمَّالِ، ونحوِهم[(١)].

والمنجِّمُ: هو الَّذِي يستخدمُ علمَ التنجيمِ، يقولُ: إذا ظهرَ نجمُ كذا والتقى بنجمِ كذا، فمعناهُ أنه سيحدثُ كذا وكذا.

أو يقول: إذا وُلدَ لفلانٍ ولَدٌ في بُرجِ كذا فإنه سيحصلُ كذا وكذا له من الغِنى، والفقرِ، أو السعادةِ، أو الشقاوةِ، ونحوِ ذلك.

فيستدلونَ بحركةِ النجومِ على ما سيحدثُ في الأرضِ من وقائعَ وأحداثٍ[(٢)].

ومن الشركِ الأكبرِ الذي يستهين به كثير من الناس: التطيُّرُ: وهو التفاؤلُ والتَّشاؤمُ بما يمرُّ عن اليمينِ والشمالِ من الطيرِ، والوحشِ، وغيرِه.

فقد كانوا في الجاهليةِ إذا أرادَ أحدٌ أنْ يذهبَ إلى مكانٍ، أو يمضي في سفرٍ، استدل بحركاتِ الطيورِ، أو بما يحدثُ له من الحوادثِ على أن هذا السفرَ سفرٌ سعيدٌ فيمضي فيه، أو أنه سفرٌ سيءٌ وعليه فيه وبالٌ فيرجعُ عنه.

والتطيُّرُ كبيرةٌ من الكبائرِ، بل إن مَن اعتقدَ فيها أنها تؤثِّر بذاتها فقد أشركَ شركًا أكبرَ.

فقد روى البَزَّارُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»[(٣)].

قولُه ﷺ: «ليسَ منَّا»: يدلُّ على أنَّ هذا الفعلَ كبيرةٌ من الكبائرِ.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٣٧).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح آل الشيخ، صـ (٣٠٦).

(٣) صحيح: رواه البزار في مسنده (٣٥٧٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٩٥).

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»(١).

قوله: «لَا عَدوى»: أي مؤثِّرةً بنفسِها، وهي انتقالُ المرضِ من المريضِ إلى الصحيحِ.

قوله: «ولَا طِيرةَ»: أي مؤثِّرةً أيضًا، وهي التفاؤلُ والتشاؤمُ بالطيرِ.

قوله: «وَلَا هَامَةَ»: الهامَةُ طيرٌ من طيرِ الليلِ، وقيلَ: هي البومةُ، كانوا يتشاءمُون بها إذا وقعتْ على بيتِ أحدِهم يقولُ: نَعَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، أو أحدًا من أهلِ داري، فجاءَ الحديثُ بنفي ذلك وإبطالِه(٢).

قوله: «وَلَا صَفَرَ»: الصَّفَرُ: كانت العَرَبُ تزعُمُ أن في البَطْنِ حيَّةً يُقالُ لها: الصَّفَرُ تُصِيب الإنسانَ إذا جَاعَ وتُؤْذِيه، وأنَّها تُعْدِي فأبطَلَ الإسلامُ ذلك(٣).

ومِن صورِ الطيرةِ في العصرِ الحديثِ:

- حظَّك اليومَ.
- والبروجُ.
- والخطُّ في الرمالِ.
- وقراءةُ الفنجانِ.
- وتعليقُ الدُّبِّ لدفعِ العينِ.
- والخمسةُ والخِيمسةُ.
- والعينُ الزرقاءُ.

وغيرُها مما يُعلَّقُ لجلبِ النفعِ، أو دفعِ الضُّرِ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٤/ ٢١٥).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣/ ٦٩).

وأخيرا، فقد أضحتُ لكم الشرك، وبينتُ لكم خطورته، وشرحت بعض صوره، فاحرصوا علىٰ اجتنابه بكل صوره، وادعوا غيركم إلىٰ ذلك، وفقنا الله، وإياكم إلىٰ كل خير.

الدعاء...

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- اللهم اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.
- اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.
- اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.
- اللهم قنا شح أنفسنا، واجعلنا من المفلحين.
- اللهم اغفر لنا ذنوبَنا، وإسرافنا في أمرِنا.
- اللهم ارزقنا العلمَ النافع، والعملَ الصالحَ.
- اللهم أَلِّفْ بين قلوبِنا.
- اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٧ـ من صور الشرك الأكبر

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**من صور الشرك الأكبر**».

وسيرتكز حديثنا معكم حول ست صور من صور الشرك الأكبر، وهي:

١- الذَّبحُ لغيرِ اللهِ ﷻ.

٢- النذرُ لغيرِ اللهِ ﷻ.

٣- الاسْتِعاذةُ بغيرِ اللهِ.

٤- دعاءُ غيرِ اللهِ.

٥- الاعْتقادُ في النُّجومِ.

٦- الاستسقاءُ بالأنواءِ.

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

من صور الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الدين: الذبحُ لغيرِ اللهِ: هو الذبحُ الذي يكون؛ لأجلِ غيرِ الله.

روىٰ مسلمٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١).

واللعنُ: هو الطردُ والإبعادُ من رحمةِ الله(٢).

ولأنَّ الذبحَ عبادةٌ لا يجوزُ صرفُها لغيرِ الله ﷻ.

فمنْ قصدَ بذبيحتِه التقربَ إلى اللهِ، مثل ما يُذْبحُ من الأضاحيِّ، أو يُذبحُ من الهدي، فهذا من العباداتِ العظيمةِ التي يحبُّها الله.

ومن ذبحَ باسم اللهِ، للأضيافِ، أو للأكلِ، أو للاتجارِ، ولم يتقربْ بها للهِ، أو لغيرِ اللهِ، فهذا جائزٌ.

أما من يذبحُ باسمِ اللهِ ويقصدُ بذلك التقربَ لغيرِ اللهِ، أو يذبحُ باسمِ غيرِ اللهِ لغيرِ اللهِ، فهذا شركٌ في العبادةِ.

مثاله: أن يذبحَ باسمِ اللهِ وينوي بإراقةِ الدَّمِ التقرُّبَ لصاحبِ ضريحٍ، أو نبيٍّ، أو للسلطانِ، أو للمَلَكِ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٢٥٥).

وكَأنْ يقولَ: باسمِ الولي، ويقصد بالذبيحةِ التقربَ للولي.

أو يقولَ: باسمِ البدويِّ، ويقصدُ بالذبيحة التقرُّبَ للبدويِّ[١].

ومن صور الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الدين: النذرُ لغيرِ اللهِ، كأنْ يقولَ: لفلانٍ عليَّ نذرٌ، أو: لهذا القبرِ عليَّ نذرٌ، أو: للنبيِّ عليَّ نذرٌ، يريدُ بذلكَ التقرُّبَ إليهم.

والنذرُ: هو أنْ يُلزمَ المكلَّفُ نفسَه بعبادةٍ للهِ لم تكنْ واجبةً عليهِ بأصلِ الشرعِ[٢].

والنذرُ عبادةٌ لا يجوزُ صرفُها لغيرِ اللهِ ﷻ؛ لأنَّ اللهَ مدَحَ الذينَ يوفونَ بالنذرِ، فقَال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧]، ومدْحُهُ لهمْ يدُلُّ على أن الوفاءَ بالنذرِ أمرٌ محبوبٌ للهِ ﷻ، ولا يكونُ محبوبًا إلَّا وهو مشروعٌ، وذلك يقتضي أنه عبادةٌ من العباداتِ.

وصرفه لغيرِ الله ﷻ شركٌ أكبرُ؛ لأن النذرَ عبادةٌ، وصرْفُ العبادةِ لغيرِ الله شركٌ، وعبادةٌ للمصروفِ إليه، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

أما النذر الذي يكون لله ﷻ، فهو نَوعانِ:

النوعُ الأولُ: نذرٌ محمودٌ وهو: أن يُلزمَ العبدُ نفسَه بعبادةٍ للهِ بلا قيدٍ.

مثالُه: أنْ يقولَ: للهِ عَلَيَّ أن أصليَ ركعتينِ.

النوع الثاني: نذرٌ مكروهٌ، وهو أنْ يُلزمَ العبدُ نفسهُ بعبادةٍ للهِ بقيدٍ.

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صـ (١٤٠-١٤٣).

(٢) انظر: الإقناع لطالب الانتفاع، للحجاوي (٤/ ٣٧٩).

مثاله: أن يقولَ: لله عليَّ أن أصلِّيَ ركعتينِ إنْ نجحتُ.

وهذا الَّذِي قالَ فيه الرَّسولُ ﷺ: «**إنما يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ**»(١).

لأنَّ البخيلَ لا يعملُ شيئًا حتى يأخُذَ عليه أجرا، فصارَ بما أعطاهُ اللهُ من النِّعمةِ أو بما دُفِعَ عنه من النقمةِ كأنَّه قد أعطى الأجرَ، وأُعطِي ثمنَ تلك العبادةِ.

ومن صور الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الدين: الاسْتِعاذةُ بغيرِ اللهِ، كأنْ يقولَ: استعذتُ بصاحبِ الضريحِ، أو: بربِّ الشياطينِ، أو غيرِهِ.

والاستعاذة: هي طلبُ العَوذِ والحمايةِ من مكروهٍ، يُقالُ: استعاذَ، إذا طلبَ العِياذَ.

والعِياذُ: ما يُؤمِّنُ من الشرِّ، كالفرارِ من شيءٍ مخوِّفٍ إلى ما يؤمِّن منهُ، أو إلى مَن يؤمِّنُ منه.

والاستعاذةُ دعاءٌ مشتمِلٌ على عَوذٍ.

وقد دلَّتِ النصوصُ على أنَّ الاستعاذةَ عبادةٌ للهِ لا يجوزُ صرفُها لغيرِ اللهِ ﷻ، فمن استعاذَ بغيرِ الله فقد أشركَ شركًا أكبرَ(٢).

ومن النُّصوصِ الدالةِ على ذلكَ:

قولُه ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن:١٨].

وقولُه ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

و قولُه ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

والاستعاذةُ التي يجب صرفها لله وحده هي الاستعاذة باللهِ تعالى، وهي المتضمِّنةُ لكمالِ الافتقارِ إليهِ، والاعتصامِ به من كلِّ شيءٍ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٣٢٦).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صـ(١٦٥-١٦٦).

منها: قَولُهُ تَعَالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلَق:١-٢].

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس:١-٤].

أما الاستعاذةُ بالأمواتِ، أو الأحياءِ غيرِ الحاضرينَ على العَوذِ، فهذا شركٌ أكبر مخرج من الدينِ.

ومنه: قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦﴾ [الجن:٦].

ومن صور الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الدين: دعاءُ غيرِ اللهِ سواءٌ كانَ دعاءَ مسألةٍ، أو دعاءَ عبادةٍ.

والدعاءُ: طلبٌ منَ الأعلى أن يقضيَ حاجةً للداعي.

ودعاءُ المسألةِ: هو طلبُ ما ينفعُ الداعي من جلبِ نفعٍ أو دفعِ ضُرٍّ.

مثاله: أن يقولَ الداعي: اللهمَّ اغفر لي وارحمني.

أو: اللهم ارزقني رزقًا حلالًا.

وحكمُ صرفِ دعاء المسألةِ لغيرِ الله له حالانِ:

أحدهُما: إن كانَ المدعوُّ: حيًّا، حاضرًا، قادرًا على ذلك، فليسَ بشركٍ، كقولك: اسقني ماءً لمن يستطيعُ ذلكَ.

رَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ**»(١).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٦٧٢)، وأحمد (٥٧٠٣)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

الحال الثاني: إن كانَ المدعوُّ: ميِّتًا، أو غائبًا، أو غيرَ قادرٍ، والداعي يعلمُ ذلك، فدعاؤُهُ شركٌ مخرجٌ من الملةِ.

ودعاءُ العبادةِ يدخلُ فيهِ كلُّ عبادةٍ تتعبدُ بها لله ﷻ، وهو ما لم يكنْ فيه سؤالٌ ولا طلبٌ؛ فالصلاةُ دعاءٌ، والزكاةُ دعاءٌ، والصيامُ دعاءٌ، والذِّكرُ دعاءٌ.. إلخ، ويدخلُ فيه كلُّ القُرباتِ الظاهرةِ والباطنةِ؛ لأنَّ المتعبِّدَ لله طالبٌ بلسانِ مقالِه ولسانِ حالِه من ربِّه قَبولَ تلك العبادةِ والإثابةَ عليها، كما قالَ ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨].

أيْ: لا تَعبدوا، ولا تَسألوا مع الله أحدًا.

وكما قَال النبيُّ ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١)، فمن صلَّى يقال له: إنه دعا، وكذلك كلُّ من حجَّ، أو زكَّى، أو صامَ يقالُ له: إنه دعَا، لكنْ دُعَاء عبادةٍ.

وحكمُ صرفِ دعاءِ العبَادَةِ لغيرِ الله شركٌ أكبرُ مخرِجٌ من الملةِ.

لقولِهِ تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

وروَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**»(٢).

وقَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (١٨٣٥٢)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٤٩٧).

لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧].

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا،

وبعد..

من صور الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الدين: الاعْتقادُ في النُّجومِ، وهو الاستدلالُ بالأحوالِ الفلكيَّةِ على الحوادثِ الأرضيَّةِ التي لم تقعْ.

رَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً(١) مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ(٢)»(٣).

والتنجيم ثلاثةُ أنواعٍ:

النوعُ الأولُ: الاعتقادُ في النجومِ أنها مؤثِّرةٌ بذاتها، وهذا كفرٌ أكبرُ.

النوعُ الثاني: الاستدلالُ بحركةِ النُّجومِ، والتقائِها، وافتراقِها، وطلوعِها وغروبِها، على ما سيحصلُ في الأرضِ، وهذا كبيرةٌ من الكبائرِ.

النوعُ الثالثُ: الاستدلالُ بمنازلِ النجومِ وحركاتها، على معرفةِ اتجاه القِبْلةِ، والأوقاتِ، وما يصلحُ من الأوقاتِ للزرعِ وما لا يصلحُ، والاستدلالُ بها على وقتِ هبوبِ الرياحِ، ونحوِ ذلك، وهذا جائزٌ.

لقولِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل:١٦].

---

(١) شعبة: أي طائفة.

(٢) زاد ما زاد: أي كلما زاد في تعلم التنجيم زاد في الإثم، وزاد في تعلم السحر.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وحسنه الألباني.

ويدخلُ في التنجيمِ في هذا العصرِ: ما يُسمَّى في الجرائدِ والمجلاتِ بالبروجِ، والقراءةُ فيها لَهَا حالانِ:

الحالُ الأوَّلُ: إنْ قرأ ما فيها وصدَّقهُ، فإنه يكفُر بما أُنزلَ على محمدٍ ﷺ، وهو القرآنُ والسنةُ النبويةُ.

الحال الثاني: إنْ لم قرأ ما فيها ولم يصدقهُ، لم تُقبل له صلاةٌ أربعينَ يومًا.

ومن صور الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الدين: الاستسقاءُ بالأنواءِ، وهو نسبةُ السُّقيا إلى الأنواءِ، والأنواءُ هي النجومُ(١).

- فمن اعتقدَ في الأنواءِ أنها تؤثِّرُ بذاتِها فإنَّه يكفرُ كفرًا أكبرَ.
- أما منِ اعتقدَ أنها سببٌ في نزولِ المطرِ فإنَّه يكفرُ كفرًا أصغرَ.

والدليل على ذلك ما رواه البُخاريُّ ومُسْلِمٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ(٢) كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ.

قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**»(٣).

فقد قسَّمَ اللهُ ﷻ العبادَ في هذا الحديثِ إلى قسمينِ:

القسمُ الأولُ: مؤمنونَ بالله ﷻ: وهم الذينَ نسبوا هذه النِّعمةَ وأضافُوها إلى اللهِ ﷻ، وعَرَفُوا أنها من عندِ الله.

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «نوء».

(٢) إثر سماء: أي عقب مطر.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

القسمُ الثاني: كافرونَ بالله ﷻ، وهمْ نوعانِ:

النوعُ الأولُ: من كَفرَ كفرًا أصغرَ، وهو من قالَ: مُطِرنَا بنوءٍ كذا وكذا، يعتقدُ أنَّ النوءَ، والنجمَ، والكوكبَ سببٌ في المطرِ، فهذا كفرُه كفرٌ أصغرُ؛ لأنَّه لم يعتقدِ التشريكَ والاستقلالَ، ولكنَّه جعلَ ما ليس سببًا سببًا، ونسبَ النعمةَ إلى غيرِ الله سبحانه وتعالى.

النوعُ الثاني: من كفرَ كفرًا أكبرَ، وهو مَن اعتقدَ أنَّ المطرَ أثرٌ من آثارِ الكواكبِ والنجومِ، وأنها هيَ التي تفضَّلَتْ بالمطرِ، وهذا كفرٌ أكبرُ بالإجماعِ؛ لأنَّه اعتقادُ ربوبيةٍ وإلهيةٍ لغيرِ الله سبحانه وتعالى[١].

وختاما، فهذه صور من صور الشرك الأكبر، ذكرتُها لكم؛ لتحذروها، وتجتنبوها، وتحذروا غيركم منها.

نسأل الله أن يتوفنا، وإياكم على التوحيد الخالص.

الدعاء...

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
- اللهم إنا نعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر.
- اللهم إنا نعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال.
- اللهم اغسل قلوبنا بالماء والثلج والبَرَد، ونق قلوبنا من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدَّنس، وباعد بيننا وبين خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب.

---

(١) انظر: فتح المجيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٢/ ٧٢-٧٤).

- اللهم إنا نعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٨ـ اعتقاد النفع والضر في غير الله ﷻ

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان:

«**اعتقاد النفع والضر في غير الله ﷻ**».

وسوف يرتكز حديثنا في النقاط التالية:

١- لبس الحلقة.

٢- تعليق التمائم.

٣- الرقى.

٤- التبرك.

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

مما يُعتقد فيه أنه ينفع أو يضر الحلْقة، وهي قطعةٌ مستديرةٌ من حديدٍ، أو ذهبٍ، أو فِضةٍ، أو نُحاسٍ، أو نحوِ ذلك، وقد كانتِ العربُ في الجاهليةِ تعلِّقُها لدفعِ الضُرِّ، أو جَلبِ نفعٍ، أو اتِّقاءِ العينِ[1].

وهذا لا يجوزُ.

قَالَ تعَالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمَر:٣٨].

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء:٥٦].

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولًا أَنْ: «**لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ**[2]**، أَوْ قِلَادَةٌ**[3] **إِلَّا قُطِعَتْ**»[4].

---

(١) انظر: أصول الإيمان، لنخبة من العلماء، صـ(٤٤).

(٢) وتر: أي قوس.

(٣) أو قلادة: هذا شك من الراوي، هل قال: قلادة فقط، أو قيدها بالوتر.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

فتعليقُ القلادةِ على البعيرِ مأمورٌ بقطعِه؛ لأجلِ أن العربَ تعتقدُ أنها تدفعُ العينَ عن الأَبعرةِ، وهذا نوعٌ من أنواعِ التمائمِ؛ لأنَّ في تعليقها اعتقادُ أنه يدفعُ الضرَّ أو أنَّه يجلبُ النفعَ، وهذا الاعتقادُ اعتقادٌ شركيٌّ.

ولُبسُ الحلْقةِ له حالانِ:

الحالُ الأولُ: إنِ اعتقدَ لابِسُها أنها مؤثِّرةٌ بنفسِها دونَ الله فهو مشرِكٌ شركًا أكبرَ في توحيدِ الربوبيةِ؛ لأنَّه اعتقدَ وجودَ خالقٍ مدبِّرٍ مع الله ﷻ.

الحالُ الثاني: إنِ اعتقدَ أنَّ الأمرَ لله وحدَه، وأنها مجرَّدُ سببٍ، ولكنَّه ليسَ مؤثِّرًا، فهو مشركٌ شركًا أصغرَ؛ لأنَّه جعلَ ما ليسَ سببًا سببًا والتفتَ إلى غيرِ ذلك بقلبِه، وفعلُه هذا ذريعةٌ للانتقالِ للشركِ الأكبرِ إذا تعلَّقَ قلبُه بها ورَجَا منها جلبَ النعماءِ أو دفعَ البلاءِ[١].

ومما يُعتقد فيه أنه ينفع أو يضر التَّمائمُ، وهي ما يُعلَّق على العُنقِ وغيرِه من تعويذاتٍ أو خرزاتٍ أو عظامٍ أو نحوها لجلبِ نفعٍ أو دفعِ ضُرٍّ.

وتعليقُ التَّمائمِ: نوعٌ من أنواعِ الشركِ؛ لما فيها من التعلُّقِ بغيرِ الله؛ إذْ لا دافعَ إلَّا اللهُ، ولا يُطلبُ دفعُ المؤذِياتِ إلَّا باللهِ وأسمائِه وصفاتِه، فمنِ اعتقدَ أنها سببٌ في جلبِ النفعِ أو دفعِ الضرِّ فهذَا شركٌ أصغرُ، ومن اعتقدَ أنها تنفعُ بذاتِها فهذا شركٌ أكبرُ[٢].

رَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ[٣] شِرْكٌ**»[٤].

---

(١) انظر: أصول الإيمان، لنخبة من العلماء، صـ(٤٤-٤٥).

(٢) انظر: أصول الإيمان، صـ(٤٢-٤٣).

(٣) التِّولة: نوع من السحر يُصنع ليحبب الرجل في زوجته، والعكس.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦١٥)، وحسنه أحمد شاكر،

وروى **التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ** عَن عَبْدِ الله بْنِ عُكَيْمٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[1].

أي وكَلَه اللهُ إليه، ولم يُعِنهُ عليه.

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً[2]، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ[3]»[4].

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[5].

ولا يجوزُ تعليقُ القرآنِ للاستشفاءِ؛ لعمومِ النهي عن تعليقِ التمائمِ، ولا يوجد دليل يخصصه.

ومما يُعتقد فيه أنه ينفع أو يضر الرُّقى، وهي القِراءةُ على المريضِ لغرضِ الشفاءِ.

وهي نوعانِ:

النوعُ الأولُ: الرقيةُ الشرعيَّةُ: هيَ كلُّ رقيةٍ توفرتْ فيها الشروطُ الآتيةُ:

الشرطُ الأَولُ: أنْ لا يَعتقدَ أنها تنفعُ لذاتها دونَ الله، فإنِ اعتقدَ أنها تنفعُ بذاتِها من دونِ الله فهو شركٌ، بلْ لا بدَّ أن يَعتقدَ أنها سببٌ لا تنفعُ إلَّا بإذنِ الله.

وصححه الألباني.

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٠٧٢)، وأحمد (١٨٧٨١)، وحسنه الألباني.

(٢) ودعة: الودع حجر صغير يُجلب من على شاطئ البحر.

(٣) فلا ودع الله له: أي لا يتركه الله في راحة، وسكينة، وطُمأنينة.

(٤) حسن: رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وحسنه الأرنؤوط.

(٥) صحيح: رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٩٤).

الشرطُ الثاني: أنْ لا تكونَ بما يخالفُ الشرعَ كما إذا كانتْ متضمِّنةً دعاءَ غيرِ الله، أو استغاثة بالجن، وما أشبه ذلك، فإنها شرك.

الشرطُ الثالثُ: أنْ تكونَ مفهومةً معلومةً، فإنْ كانتْ من جنسِ الطلاسمِ، والشعوذةِ فإنَّها لا تَجوزُ.

النوعُ الثاني: وهو الرقيةُ الشركيةُ: فهي كلُّ رقيةٍ لم تتوفرْ فيها الشروطُ الثلاثةُ المتقدِّمةُ، كأنْ يعتقدَ الراقي أو المُرْقَى أنها تنفعُ وتؤثرُ بذاتِها، أو تكونَ مشتملةً على ألفاظٍ شركيةٍ وتوسلاتٍ كفريةٍ وألفاظٍ بدعيةٍ، ونحوِ ذلك، أو تكونَ بألفاظٍ غيرِ مفهومةٍ كالطلاسمِ ونحوِها(١).

ومما يُعتقد فيه أنه ينفع أو يضر التَّبرُّك بالأشجارِ، والأحجارِ، ونحوِها.

والتبرُّكُ هو طلبُ البركَةِ، وهو قسمانِ:

القسمُ الأولُ: تبرُّكٌ مشروعٌ:

وهو أربعةُ أنواعٍ:

الأول: التبرُّكُ بالقرآنِ الكريمِ:

ويكونُ بتلاوتِه، والعملِ بأحكامِه، وتدبُّرِ آياتِه، ونحوِ ذلك، وليسَ بتعليقِه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٥].

الثاني: التبركُ بالأماكنِ: ومنهُ:

- التبركُ بالبيتِ الحرامِ بكثرةِ الصلاةِ فيهِ، وليسَ بالتَّمسُّحِ بهِ.
- التبركُ بالمسجد النبويِّ بكثرةِ الصلاةِ فيهِ، وليسَ بالتَّمسُّحِ بهِ.
- التبركُ بالبيتِ المقدسِ بكثرةِ الصلاةِ فيهِ، وليسَ بالتَّمسُّحِ بهِ.

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ١٩٥).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

وقد وردَ أن الصلاةَ في هذه المساجدِ مضاعفةُ الأجرِ.

الثالث: التبركُ بالزمانِ: أي من تعبَّدَ في أوقاتٍ معيَّنةٍ عيَّنها الشرعُ، فإنهُ ينالُ من كثرةِ الثوابِ ما لا ينالُه في غيرِها من الأزمنةِ، ومنْه:

- **شهرُ رمضانَ،** فالعبادةُ فيه مضاعفةٌ؛ لفضلِه على بقيةِ الشهورِ.
- **يومُ عاشوراءَ، والأيامِ العشرِ من ذي الحِجةِ،** فالعملُ فيها مضاعفٌ.

رَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»(١).

الرابع: التبرُّكُ بالصالحينَ:

وهي البركةُ التي جعلها الله ﷻ في المؤمنينَ، وهي راجعةٌ إلى الإيمانِ، فكلُّ مسلمٍ فيه بركةٌ.

قَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ ﷺ: «**مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ**»(٢).

والتبرُّكُ بالصالحينَ يكونُ بطلبِ الدعاءِ منهُم.

والتبرُّكُ بأهلِ العلمِ يكونُ بالأخذِ من علمِهم والاستفادةِ منه.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٣٨)، والترمذي (٧٥٧)، وابن ماجه (١٧٢٧)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).

ولا يجوزُ أنْ نَتبرَّكَ بريقِهم، أو بالتمسُّحِ بهم، فهذا خاصٌ بالأنبياءِ والرسلِ؛ لأنَّ أفضلَ الخلقِ من هذه الأمةِ وهم الصحابةُ ﷺ لم يفعلوا ذلك مع خير هذه الأمةِ أبي بكرٍ، وعُمرَ، وعثمانَ، وعليٍّ ﷺ.

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

القسمُ الثاني من أقسام التَّبَرُّكِ: تبرُّكٌ غيرُ مشروعٍ:

كالتبرُّكِ بالأشجارِ، والأحجارِ، والقبورِ، والقِبابِ، والبقاعِ، ونحوِ ذلك، فهذا كلُّه من الشركِ.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ[1] يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف:١٣٨]، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[2].

فقد دلَّ هذا الحديثُ على أنَّ الاعتقادَ في الأشجارِ والقبورِ، والأحجارِ، ونحوِها من التبرُّكِ بها، والعكوفِ عندَها، ولهذا أخبرَ النبيُّ ﷺ في الحديثِ أنَّ طلبَهم كطلبِ بني إسرائيلَ لَمَّا قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾.

---

(١) أنواط: جمع نوط، وهو التعليق.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١١٢١)، وأحمد (٢١٨٩٧)، وصححه الألباني.

فأصحابُ النبيِّ ﷺ طلبُوا شجرةً يتبرَّكون بها كما يتبرَّكُ المشركونَ.

وأصحابُ موسى عليه السلام طلبوا إلـهًا كما لهم آلهةٌ.

وفي كِلا الطلبينِ منافاةٌ للتوحيدِ؛ لأنَّ التبركَ بالشجرِ نوعٌ من الشركِ، واتخاذُ إلـهٍ غيرِ الله شركٌ واضحٌ.

وقولُه ﷺ: «**لَتَرْكَبُنَّ سُنن مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» إشارةٌ إلى أن شيئا منْ ذلك سيقعُ في أمَّتِه ﷺ، وقد قَالَ ﷺ ذلك ناهيًا ومحذِّرًا.

فكل هذه الأمور السابقة «لُبس الحلقة، وتعليق التمائم، والرقى الشركية، والتبرك غير المشروع» تدل على تعلق القلب بغير الله ﷻ، فاحرصوا على طاعة ربكم، واجتنبوا ما يضركم.

الدعاء...

• اللهم إنا نعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهَرَم، والبخل، ونعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والمات.

• اللهم إنا نعوذ بك من جَهد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

• اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لي دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

• اللهم لا تُزغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا.

• اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى.

• اللهم حبب إلينا الإيمان، وزيِّنه في قلوبنا.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٩ـ الإيمان بالملائكةِ

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصـدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عن الأصل الثاني من أصول الإيمان وهو: «**الإيمان بالملائكةِ**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلمُوا أيها الإِخوةُ المُؤمنونَ أَنَّ الإِيمانَ بالمَلائِكةِ أَصلٌ من أصولِ الإيمانِ يجبُ علينا أَنْ نؤمنَ به:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وأخبرَنَا اللهُ ﷻ أن من كفرَ بأصل من أصول الإيمان الستةِ، فقد كفرَ باللهِ ﷻ.

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

والملائكةُ خلقٌ من مخلوقاتِ اللهِ، لهم أجسامٌ نُورانيةٌ قادرةٌ على التَّشكُّلِ، والتَّصوُّرِ بالصورِ الكريمةِ، ولهم قوًى عظيمةٌ، وقدرةٌ كبيرةٌ على التنقُّلِ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ**(١) **مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**(٢)»(٣).

واعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنهُ يجبُ علينا الإيمانُ والتصديقُ والإقرارُ بأن الملائكةَ موجُودونَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟

(١) من مارج: أي من لهب مختلط بسواد النار.

(٢) مما وُصف لكم: أي من طين.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٦).

وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ [غافر: ٧].

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ[(١)] فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ[(٢)] الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[(٣)].

وروى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ[(٤)] أَهْلَ الذِّكْرِ[(٥)]، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ[(٦)] بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟.

فَيقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ[(٧)].

فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟.

فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟.

فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟.

---

(١) يتعاقبون: أي تأتي طائفة بعد طائفة.

(٢) يعرج: أي يصعد إلى السماء.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٤) يلتمسون: أي يطلبون.

(٥) أهل الذكر: أي الذين يذكرون الله ﷻ، ويتدارسون كتابه، وليس المراد أهل الذكر الجماعي الذي ابتدعته الصوفية.

(٦) فيحفونهم: أي يطوِّقونهم، ويحيطون بهم بأجنحتهم.

(٧) يمجدونك: أي يعظمونك.

يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا.

فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟.

قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ.

فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟.

فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا.

فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟.

فَيَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً.

يَقُولُ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟.

فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ.

فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟.

فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا.

فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟.

فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً.

فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ.

فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ(١).

فَيَقُولُ: هُمُ الجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ(٢)»(٣).

---

(١) لحاجة: أي حاجة دنيوية.

(٢) لا يشقى بهم جليسهم: أي ينتفي الشقاء عمن جالسهم.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤٠٨).

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**المَلَائِكَةُ تُصَلِّي**(١) **عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ**(٢)**، تَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ**»(٣).

ورَوَى النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لله مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»(٤).

ورَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(٥).

واعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنَّ المَلائكةَ خلقٌ كثيرٌ لا يعلمُ عددَهم إلَّا اللهُ، قد اختارهم اللهُ واصطفاهُم لعبادتِه والقيامِ بأمرِه:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثر: ٣١].

أي لا يعلمُ جنودَ ربكَ وهم الملائكةُ إلا الله ﷻ، وذلك لكثرَتهم.

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ﷺ، فِي حديثِ الإِسراءِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ المَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ المَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ**(٦)»(١).

---

(١) تصلي: أي تدعوا.

(٢) ما لم يحدث: أي ما لم ينتقض وضوؤه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٦٤٩).

(٤) صحيح: رواه النسائي (١٢٨٢)، وأحمد (١٢٨٢)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٦) آخرُ ما عليهم: أي دخولهم الأول ذلك هو آخر دخولهم لكثرتهم.

وروى مسلمٌ عَنْ عَبْدِ الله بنِ مسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(٢).

واعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنَّ المَلائكةَ خلقٌ اختارهُم اللهُ لعبادتِه، والقيامِ بأمرِه، لا يعصونَ اللهَ ما أمرهُم، ويفعلونَ ما يُؤمرون.

قَال تَعَالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧].

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس:١٥-١٦].

قَولُهُ: ﴿سَفَرَةٍ﴾: جمعُ سافرٍ، والسفيرُ: الرسولُ بين القومِ يكشفُ ويزيلُ ما بينهم منَ الوحشةِ(٣)، سمِّي بذلك؛ لأنَّه يبيِّنُ الشيءَ ويوضِّحُه(٤).

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٨].

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا،

وبعد..

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، صـ (٤١٢).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٣٧١).

اعلمُوا أيها الإخوةُ المُؤمنونَ أنَّهُ يجبُ علينا التصديقُ والإقرارُ بأنَّ الملائكةَ تتفاوتُ فيما بينها في الفضائلِ والمنازلِ، فمنهم الفاضلُ، ومنهم المفضولُ.

قَال تَعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج:٧٥].

وقَال تَعالى: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢].

وقَولُهُ: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ﴾ أي لن يستكبرَ.

وأفضلُ الملائكةِ: الثلاثةُ الواردُ ذكرُهُم في دُعاءِ النبيِّ ﷺ الَّذِي كان يفتتحُ به صلاةَ الليلِ، فيقولُ: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**»[1].

وأفضلُ الثلاثةِ: جبريلُ عليه السلام وهوَ الموكَّلُ بالوحي؛ لأن الله خصه بالذكر في مواطن كثيرة، منها:

قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة:٩٨]، وعطف الخاص على العام يفيد التفضيل.

وقول الله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ [المعارج:٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

ومما جاءَ في وصفِه قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [النجم: ٥-٦].

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذُو خُلُق حَسنٍ(١).

فوصفَه اللهُ تعالى بأنَّه رسولٌ، وأنَّه كريمٌ عندَه، وأنه ذُو قوةٍ، ومكانةٍ عندَ ربِّه ﷻ، وأنه مطاعٌ في السماواتِ، وأنه أمينٌ على الوَحي.

وختاما، فهذا هو الأصل الثاني من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالملائكة، وقد ذكرتُ لكم أدلةَ وجودِهم، وكثرةِ عددهم، واصطفاءِ الله لهم لعبادته، والقيام بأمره ﷻ، وتفاوت درجاتهم، وذكرتُ فضلهم، فنسأل الله أن يجعلنا ممن تستغفر لهم الملائكة.

الدعاء...

- اللهم إنا نعوذ بك من العجز، والكسل، والجُبن، والبخل، والهَرَم، وعذاب القبر.
- اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليها ومولاها.
- اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.
- اللهم اهدنا، وسددنا، اللهم إنا نسألك الهدى والسداد.
- اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نِقمتك، وجميع سخطك.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٩).

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- اللهم ارزقنا العلمَ النافع، والعملَ الصالحَ.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

١٠ـ وظائف الملائكة عليهم السلام

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: **«وظائف الملائكة عليهم السلام»**.

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلموا أيها الإخوةُ المؤمنونَ أنَّه يجبُ علينا التصديقُ والإقرارُ بأنَّ الله ﷿ أسندَ إلى الملائكةِ كثيرًا من الوظائفِ الكبيرةِ.

فمِنْ وَظائِفِهِمُ الموكَّلُ بالوَحي منَ اللهِ تعالى إلى رسلِه عليهم الصلاةُ والسلامُ وهو جبريلُ عليه السلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

ومِنْ وَظائِفِهِمُ الموكَّلُ بالقطرِ والنباتِ وهُو مِيكائيلُ عليه السلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨].

وهو ذُو مكانةٍ عاليةٍ، ومنزلةٍ رفيعةٍ عند ربِّه، ولذَا خصَّه الله هنا بالذكرِ مع جبريلَ عليه السلام، وعطفُهما على الملائكةِ، مع أنهما من جِنسِهم لشرفِهما.

وكذا وردَ ذكرُه في السُّنةِ على ما تقدَّم في دعاءِ النبيِّ ﷺ في صلاةِ الليلِ أنَّه كانَ يقولُ: «**اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**»(١).

ومِنْ وَظائِفِهِمُ الموكَّلُ بالصُّورِ وهو إسرافيلُ عليه السلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل:٨٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر:٦٨].

ورَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٢٤٤)، وحسنه، وأبو داود (٤٧٤٢)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٠)،

ورَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ؟» فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا»(١).

ومِنْ وَظائِفِهِمُ الموكَّل بقبضِ الأرواحِ وهو مَلكُ الموتِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

ولِمَلَك الموتِ أعوانٌ من الملائكةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

ومِنْ وَظائِفِهِمُ الموكَّل بالجبالِ وهو مَلَك الجبال.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟، قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ(٢)، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ(٣)، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي(٤)، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ(٥)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي،

وأحمد (٦٥٠٧)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٣١)، وحسنه، وصححه الألباني.

(٢) ما لقيت: أي لقيت الكثير من الأذى.

(٣) يوم العقبة: أي كان ما لاقاه عندها، وهذا مكان مخصوص في الطائف.

(٤) على وجهي: أي باتجاه الجهة المواجهة لي.

(٥) بقرن الثعالب: اسم موضع بقرب مكة.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ[1] مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[2].

ومِنْ وَظائِفِهِمُ المَلَكُ الموكَّل بالرَّحِمِ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ عز وجل وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[3].

ومِنْ وَظائِفِهِمْ حملةُ العرشِ.

قَالَ تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة:١٧].

ومِنْ وَظائِفِهِمْ خزنةُ الجنةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣].

---

(١) أصلابهم: جمع صلب، وهو كل ظهر له فقار.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد:٢٣].

ومِنْ وَظَائِفِهِمْ خزنةُ النارِ وهم الزَّبانيةُ، ورؤساؤُهم تسعةَ عشرَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر:٤٩].

وقَالَ تعَالَى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ [العلق:١٧-١٨].

وقَالَ تعَالَى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدَّثر:٣٠].

وقَالَ تعَالَى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزُّخرُف:٧٧].

ورَوَى البُخَارِيُّ عَنْ سَمُرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ**»(١).

ومِنْ وَظَائِفِهِمْ زوَّارُ البيتِ المعمورِ: يدخلُ في كلِّ يومٍ منهم البيتَ المعمورَ سبعونَ ألفَ مَلَك ثمَّ لا يَعودونَ إليه.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ﷺ، فِي حديثِ الإِسراءِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ**(٢)»(٣).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٢٣٦).

(٢) آخرُ ما عليهم: أي دخولهم الأول ذلك هو آخر دخولهم لكثرتهم.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

ومِنْ وَظائِفِهِمْ مَلائكةٌ سيَّاحُونَ يتَّبعونَ مجالسَ الذِّكرِ، فإذَا وجدُوا مجلسَ ذِكرٍ حفُّوا أهلَهُ.

رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ**(١) **أَهْلَ الذِّكْرِ**(٢)**، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ**»، قَالَ: «**فَيَحُفُّونَهُمْ**(٣) **بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»(٤).

وقد ثبتَ أيضًا أنهم يبلِّغونَ النَّبيَّ ﷺ منْ أمتِه السلامَ.

رَوَى النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسْعُودٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»(٥).

ومِنْ وَظائِفِهِمُ الكرامُ الكاتبونَ وعملُهم كتابةُ أعمالِ الخلْقِ.

قَالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧-١٨].

أي مَلَك عن يمينِه، وآخرُ عن يسارِه، فأمَّا الَّذِي عن يمينِه فيكتبُ الخيرَ، وأمَّا الَّذِي عن شمالِه فيكتبُ الشرَّ(٦).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللَّهَ لي، ولكُم.

---

(١) يلتمسون: أي يطلبون.

(٢) أهل الذكر: أي الذين يذكرون الله ﷻ، ويتدارسون كتابه، وليس المراد أهل الذكر الجماعي الذي ابتدعته الصوفية.

(٣) فيحفونهم: أي يطوِّقونهم، ويحيطون بهم بأجنحتهم.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٤٠٨).

(٥) صحيح: رواه النسائي (١٢٨٢)، وأحمد (١٢٨٢)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٤).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد..

اعلموا أيها الإخوةُ المؤمنونَ أنَّ من وظائف الملائكة: الموكَّلونَ بفتنةِ القبرِ وسؤالِ العبادِ في قبورِهم، وهمَا المُنْكَر والنَّكِير.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى[1] عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ[2]، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ.

وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ[3]، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ[4]»[5].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ،

---

(١) تولى: أي تولى مشيعوه وذهبوا.

(٢) قرْع نعالهم: أي صوتها عند المشي.

(٣) لا دريت ولا تليت: دعاء عليه أي لا كنتَ داريا ولا تاليا، فلا توفَّق في هذا الموقف، ولا تنتفع بما كنت تسمع، أو تقرأ.

(٤) الثقلين: أي الإنس والجن، سمُّوا بذلك؛ لثقلهم على الأرض.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

فانظروا رحمكم الله كيف تقوم الملائكة بوظيفتهم على أكمل وجهٍ، فنسأل الله أن يوفقنا للقيام بوظيفتنا التي من أجلها خلقَنَا اللهُ، وهي العبادة، وتوحيد الله ﷻ.

الدعاء...

- اللهم اجعلنا ممن يحسنون بر آبآئهم، وأمهاتهم.
- اللهم أعنا على بر آبائنا، وأمهاتنا.
- اللهم إنا نعوذ بك من شر ما عملنا، ومن شر ما لم نعمل.
- اللهم أكثر أموالنا، وأولادنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا.
- اللهم أطل حياتنا على طاعتك، وأحسن أعمالنا واغفر لنا.
- اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت.
- اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.
- يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

١١ـ قدرات الملائكة عليهم السلام

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**قدرات الملائكة عليهم السلام**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنَّ اللهَ ﷻ أعطىٰ ملائكتَه عليهمُ السلامُ بعضَ الخصائصِ التي تعينُهم علىٰ تأدِيَةِ المهامِ التي كلَّفَهُمُ اللهُ بها، ومِن هذه الخصائصِ:

١- القوةُ والشدةُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [التحريم:٦].

وقالَ تعالىٰ في وصفِ جبريلَ عليه السلام: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم:٥].

وقالَ في وصفِه أيضًا: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠﴾ [التكوير:٢٠].

٢- عظَمُ الأجسامِ والخلْقِ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها، أنَّها سأَلتِ النَّبيَّ ﷺ عَنْ قَولِهِ تَعَالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣﴾ [التكوير:٢٣]، فقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»(١).

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»(٢).

ورَوَى أَبُو دَاودَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ الله مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني.

٣-التفاوتُ في الخلْقِ والمقدارِ:

الملائكة ليسُوا على درجَةٍ واحدةٍ، فمنهمْ من له جَناحانِ، ومنهمْ من لهُ ثلاثةٌ، ومنهم من لهُ أربعةٌ، ومنهم من له سِتُّمائةِ جناحٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝١﴾ [فاطر: ١].

٤- عِظمُ السرعةِ:

سُرعةُ الملائكةِ لا تُقاسُ بمقاييسِ البشرِ، فقد كانَ السائلُ يأتي إلى الرسولِ ﷺ، فلا يكادُ يَفرغُ من سؤالِه حتى يأتيَه جبريلُ عليه السلام بالجوابِ من ربِّ العزةِ سبحانه وتعالى.

٥- العلْمُ:

الملائكةُ عندَهمْ عِلمٌ وفيرٌ علَّمَهم اللهُ إيَّاه، ولكنْ ليس عندهُم القدرةُ التي أُعطيتُ للإنسانِ في التعرفِ على الأشياءِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

فالإنسانُ يتميزُ بالقدرةِ على التعرفِ على الأشياءِ، والملائكةُ يعلمونَ ذلك بالتلقِّي المباشرِ عنِ الله سبحانه وتعالى.

ولكنِ الَّذي علَّمهمُ الله إياهُ أكثرُ مما يعرِفهُ الإنسانُ، ومنَ العلمِ الَّذي أُعْطوهُ علمُ الكتابةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

٦- القدرةُ على التَّشكُّلِ:

لقد أعطى اللهُ الملائكةَ القدرةَ على أنْ يتشكَّلوا بغيرِ أشكالهم، في صورٍ كريمةٍ، ومن ذلكَ:

١- إرسالُ جبريلَ ﵇ إلى مريمَ في صورةِ بشرٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم:١٦-١٩].

٢- إرسالُ الملائكةِ إلى إبراهيمَ ﵇ في صورةِ بشرٍ، ولم يعرفْ أنهم ملائكةٌ حتى كَشفوا لهُ عن حقيقةِ أمرِهِمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ [هود:٦٩-٧٠].

٣- إرسالُ الملائكةِ إلى لوطٍ ﵇ في صورةِ شبابٍ حِسانِ الوجوهِ، وضاقَ لوطٌ بهمْ، وخَشيَ عليهم قومَه؛ لأنَّهم كانوا قومَ سَوءٍ يفعلونَ السيئاتِ، ويأتونَ الذكرانَ من العالمينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧﴾ [هود:٧٧].

٤- إرسالُ جبريلَ ﵇ إلى الرسولِ ﷺ في صفاتٍ متعددةٍ، فتارةً يأتي في صورةِ أعرابيٍّ، وتارةً في صورةِ صحابيٍّ جميلِ الصورةِ وهو دِحيةَ بنِ خليفةَ الكلبيِّ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَاضِعًا يَدَيْهِ

عَلَى مَعْرَفَةِ فَرَسٍ، وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلًا، قُلْتُ: رَأَيْتُكَ وَاضِعًا يَدَيْكَ عَلَى مَعْرَفَةِ فَرَسٍ[١] دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ.

قَالَ: «**وَرَأَيْتِ؟**».

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: «**ذَاكَ جِبْرِيلُ ﵇، وَهُوَ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ**».

قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا مِنْ صَاحِبٍ وَدَخِيلٍ[٢]، فَنِعْمَ الصَّاحِبُ، وَنِعْمَ الدَّخِيلُ[٣].

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ.

قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**

---

(١) معرفة فرس: أي أعلى رأسه.

(٢) الدخيل: أي الضيف.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٤٤٦٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣/ ١٠٥).

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ.

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا(١).

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا(٢)، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ(٣) الْعُرَاةَ(٤) الْعَالَةَ(٥) رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا(٦)، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(٧).

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

---

(١) أمارتها: أي علاماتها.

(٢) ربتها: أي سيدتها.

(٣) الحفاة: الذين لا نعال لهم.

(٤) العراة: الذين لا ثياب لهم.

(٥) العالة: أي الفقراء.

(٦) مليًّا: أي وقتا طويلا.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٨).

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات عظيمة في نفس المؤمن، منها:

١-أنك لن تستعظم عبادتك وإن كثرت؛ لأن الملائكة يطيعون الله ﷻ، ولا يعصونه ما أمرهم.

٢- أنك تستحي من ارتكاب المعصية؛ لأنك توقن أنهم معك حيثما كنت يكتبون أفعالك كلها.

٣- أنك تشعر بالطمأنينة؛ لأنك توقن أن الله جعل عليك ملائكة حفظة يحفظونك، فإذا جاء قدرُ الله خلَّوا بينك وبينه.

٤- أنك تشكر الله ﷻ على عظيم إحسانه، وفضله عليك حيث وكَّل الملائكة بمهام، ووظائف؛ للعناية بك خاصة، وببني آدم عامة.

فانظر رحمك الله إلىٰ عظيم قدرة الله ﷻ في خلق الملائكة، فهل آن لك أن تعرف مدىٰ ضعفك، ومدىٰ عظمة ربك، وقدرته عليك، فبادر بالرجوع إليه.

الدعاء...

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- اللهم إنا نسألك اليقين والعفو، والعافية في الدنيا والآخرة.
- اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.
- اللهم أعنا، ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسِّر الهدى إلينا، وانصرنا على من بغى علينا.
- اللهم اجعلنا لك شكَّارين، لك ذكَّارين، لك رهَّابين، لك مُطوَاعِين، إليك مخبتين أوَّاهين منيبين.
- اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وأجب دعوتنا، وثبت حجتنا، واهد

قلوبنا، وسدد ألسنتنا، واسْلُل سخيمة قلوبنا.

- اللهم ارزقنا العلمَ النافع، والعملَ الصالحَ.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

١٢ـ الإيمان بكتب الله ﷻ

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عن الأصل الثالث من أصول الإيمان وهو: «**الإيمان بكتب الله ﷻ**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن الإيمانَ بكتبِ اللهِ كلِّها التي أنزلَها على رسلِه عليهم السلام ركنٌ عظيمٌ من أركانِ الإيمانِ، وأصلٌ كبيرٌ من

أصولِ الدينِ، لا يتحقَّقُ الإيمانُ إلَّا بِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

والكتابُ اسمُ جنسٍ يشملُ جميعَ الكتبِ المنزَّلةِ منَ السماءِ على الأنبياءِ، حتى خُتمتْ بأشرفِها، وهو القرآنُ المهيمنُ على ما قبلَه من الكتبِ، الَّذِي انتهى إليهِ كلُّ خيرٍ، واشتملَ على كلِّ سعادةٍ في الدنيا والآخرةِ، ونَسخَ اللهُ بهِ كلَّ ما سواهُ من الكُتبِ قبلَه، وآمنَ بأنبياءِ الله كلِّهم منْ أوَّلهم إلى خاتَمِهم محمدٍ صلواتُ الله وسلامُه عليه وعليهم أجمعينَ(١).

والكتب هي الكُتبُ، والصحفُ التي حوتْ كلامَ اللهِ تعالىٰ الَّذِي أوحاهُ إلىٰ رسلِه عليهم السلامُ، سواءٌ ما ألقاهُ مكتوبًا كالتوراةِ، أو أنزلَه عنْ طريقِ المَلكِ مشافهةً فكُتبَ بعد ذلك كسائرِ الكتبِ.

ويجبُ عَلينا الإيمانُ بما علِمنَا من أسماءِ الكتبِ التي أنزلهَا اللهُ، ومَن أنزلتْ إليهم، وما تضمَّنَته منْ شرائعَ، وأنَّ القرآنَ ناسخٌ لها جميعِها، إذ لا يجوزُ العملُ بما فيها، وتركُ القرآنِ العظيمِ، وأنَّ من كذَّب بها أو جحدَ شيئًا منها فهو كافرٌ بالله خارجٌ من الدِّينِ.

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

ويجبُ عَلينا الإيمانُ بأنَّ اللهَ أنزلَ كُتبًا مع رُسلِه حتَّىٰ يدعُوا أقوامَهم إلىٰ التوحيدِ، وأنَّ الانقيادَ لها، والحكمَ بها كانَ واجبًا علىٰ الأممِ التي نزلتْ إليها هذه

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٦).

الكتبُ، والإيمانُ بأنها يُصدِّق بعضُها بعضًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة:١٣٦].

ويجب علينا الإيمانُ بأنَّ جميعَ الكتبِ السَّابقةِ قدْ دخلَها التحريفُ، والتبديلُ والتغييرُ بالزيادةِ، أو بالنقصِ، وبهذا أخبرَ اللهُ ﷻ في القرآنِ الكريمِ.

قالَ ﷻ في حقِّ اليهودِ: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [البقرة:٧٥].

قال العلماءُ في تفسير هذه الآيةِ: «التوراةُ التي أنزلها عليهم، يحرِّفونها، يجعلونَ الحلالَ فيها حرامًا، والحرامَ فيها حلالًا، والحقَّ فيها باطِلًا، والباطلَ فيها حقًّا»[1].

وقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦].

وقَالَ اللهُ ﷻ مخبرًا عنِ النَّصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [المائدة:١٤-١٥].

قال العلماءُ في تفسيرِ الآيةِ: «أَيْ يُبَيِّنُ مَا بَدَّلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَأَوَّلُوهُ، وَافْتَرَوْا عَلَى اللهِ فِيهِ، وَيَسْكُتُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا غَيَّرُوهُ وَلَا فَائِدَةَ فِي بَيَانِهِ»[2].

وقد كانَ هذا التحريفُ بالزيادةِ تارةً، وبالنقصِ تارةً أخرى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٦٧).

فدليلُ الزيادةِ قَولُهُ تَعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩].

ودليلُ النقصِ قَولُهُ تَعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام:٩١].

قال العلماءُ في تفسيرِ الآيةِ: «أَيْ تجْعَلُونَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى فِي قَرَاطِيسَ تَضَعُونَهُ فِيهَا لِيَتِمَّ لَكُمْ مَا تُرِيدُونَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَكَتْمِ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ المَذْكُورَةِ فِيهِ»(١).

وقَولُهُ تَعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة:١٥].

أمَّا القرآنُ العظيمُ فقدَ سلِمَ مما طرأَ على الكتبِ السابقةِ من التحريفِ والتبديلِ، وهو محفوظٌ من كلِّ ذلك بحفظِ الله له كما أخبرَ اللهُ عن ذلك بقولِه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر:٩].

قال العلماءُ في تفسيرِ الآيةِ: «وإنَّا للقرآنِ لحافظونَ من أن يُزادَ فيه باطلٌ مَا ليسَ منه، أو يُنقصَ منه ما هو منه من أحكامِه وحدودِه وفرائضِه»(٢).

وقالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة:١٦-١٧].

ولو نظرنا كم قرآنا في العالم لوجدنا قرآنًا واحدًا، ولن نَجدَ في العالم كله قرآنين يختلفان، أما الإنجيل فكثير، وكذلك التوراة، وكل نسخة منهما تختلف

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٢/ ١٥٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٦٨).

مع الأخرىٰ، فهذا دليل حسي قوي علىٰ عدم تحريف القرآن، وتحرق الإنجيل، والتوراة.

ومنَ الكتبِ التي فُقدِت ولم تصلْ إلينَا: صحفُ إبراهيمَ، وزبورُ داودَ عليهما السلامُ.

والقرآنُ الكريمُ هو آخِرُ الكُتبِ السماويَّةِ نزولًا علىٰ النبي ﷺ؛ لأنَّه خاتَمُ النبيينَ، والوحيُ انقطعَ بموتِه ﷺ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤].

والقرآن شاهدٌ علىٰ ما قبلَه من الكتبِ السابقةِ، وحاكمٌ عليها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولا يجوز لأحد أن يعمل بما في الكتب السابقةِ إذا كانَ مخالفًا لما جاء في القرآن.

فلا يجوزُ لأهلِ الكتابِ، ولا لغيرِهم أن يعبدوا اللهَ بعد نزولِ القرآنِ بغيرِه، فلا دِينَ إلَّا ما جاءَ بهِ، ولَا عبادةَ إلا ما شرَعَ اللهُ فيه، ولا حلالَ إلا ما أحلَّ فيه، ولا حرامَ إلا ما حرَّمَ فيه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد نَهى النبيُّ ﷺ أصحابَه ﷺ عن القراءةِ في كتبِ أهلِ الكتابِ.

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﵁، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيُّ ﷺ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ[1] فِيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[2].

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي، ولكم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن القرآنَ منْ كلامِ اللهِ ﷻ تكلم به حقيقةً بلفظه، ومعناه[3].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

ولقد القرآنُ نزلَ به جبريلُ ﵇ على قلبِ سيِّدِ المرسلينَ محمدٍ ﷺ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧][4].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤].

---

(١) أمتهوكون: أي أمتحيرون، ومتشككون، ومضطربون.

(٢) حسن: رواه أحمد (١٥١٥٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٢/ ٣٦)، وشرح الكوكب المنير، لابن النجار (١/ ٥٩).

(٤) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٢/ ٧).

أما ما أنزلَهُ اللهُ ﷻ على غيرِ الرسولِ ﷺ من الأنبياءِ فلا يُسمَّى قرآنًا، كتوراةِ موسى، وإنجيلِ عيسى، وزبورِ داودَ، وصحفِ إبراهيمَ عليهِمُ السلامُ(١).

وكذلك ما استأثرَ اللهُ بعلمِه لا يسمَّى قرآنا، كما قَالَ تعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩].

وقَالَ تعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧].

والقرآنُ نزلَ كلُّه بلفظٍ ولسانٍ عربيٍّ.

قَالَ تعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤].

وقَالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وقَالَ تعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد:٣٧].

وقَالَ تعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧].

أما ما تُرجمَ لغيرِ لغةِ العربِ، فإنَّهُ لا يسمَّى قرآنًا، وإنما يُسمَّى معَاني القرآنِ.

والقرآن تعبدَنا اللهُ ﷻ بتلاوتِه، فتلاوتُه عبادةٌ يثابُ فاعلُها(٢)، فمنْ قرأَ منه حرفًا، فلَهُ به عشرُ حسناتٍ.

رَوَى البُخَارِيُّ عنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ،**

---

(١) انظر: التحبير شرح التحرير، للمرداوي (٣/ ١٢٤٠).

(٢) انظر: الأصل الجامع، للسيناوني (١/ ٤٥).

وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[١].

والقرآن نقلَه الصحابةُ ﵃ عن النبيِّ ﷺ، وبلَّغوه إلى التابعينَ بلفظِهِ ومعناهُ، وبلَّغَ التابعونَ لفظَه ومعناهُ لمن بعدَهم حتى انتهى إلينا[٢]، فلَا يجوزُ ردُّ آيةٍ منه، ولا يحلُّ إنكارُها[٣].

وقد أجمعَ المسلمونَ على أنَّ كلامَ الله ﷻ هو المتلوُّ في المحاريبِ المكتوبُ في المصاحفِ المشهورةِ بين أيدِينا الَّذِي أولُه سورةُ الفاتحةِ، وآخرُه سورةُ الناسِ[٤].

ومَن استخفَّ بالقرآنِ، أو المصحفِ، أو بشيءٍ منه، أو سبَّهما، أو جحدَه، أو حرفًا منه أو آيةً، أو كذَّبَ به، أو بشيءٍ منه، أو أثبتَ ما نفاهُ، أو نفى ما أثبتَه على علْمٍ منه بذلك، أو شكَّ في شيء من ذلك، فهو كافرٌ عند أهلِ العلمِ جميعا[٥].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر:٩].

القرآنُ كلُّه نزلَ بواسطةِ المَلَك، فقد تكلَّمَ اللهُ به، وسمعَه جبريلُ ﵇ من اللهِ ﷿، وبلَّغَه جبريلُ ﵇ لمحمدٍ ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [النحل:١٠٢].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٩١٠)، وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني.

(٢) **انظر**: مجموع الفتاوى (٧/ ١٢٤).

(٣) **انظر**: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ٩).

(٤) **انظر**: إيثار الحق، لابن الوزير اليمني، صـ(٢٩١)، والإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (١/ ٩٥).

(٥) **انظر**: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/ ٣٠٤).

فهذا أخي المسلم كتاب الله لا زال غضًّا طريًّا كما أنزل، فهلَّا أقبلنا عليه تلاوة، وتدبرًا، وعملا؟!

الدعاء...

- اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
- اللهم إنا نعوذ بك من شر أسماعنا، ومن شر أبصارنا، ومن شر أَلْسُنِنَا، ومن شر قلوبنا.
- اللهم إنا نعوذ بك من البَرَص، والجنون، والجذام، ومن سيِّئ الأسقام.
- اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء.
- اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.
- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- اللهم ارزقنا العلمَ النافع، والعملَ الصالحَ.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

١٣ـ الإيمان بالأنبياء عليهم السلام

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَديثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عن الأصل الرابع من أصول الإيمان وهو: «**الإيمان بالأنبياء عليهم السلام**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن الإيمانَ بالرسلِ ركنٌ من أركانِ الإيمانِ، وأصلٌ من أصولِه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقَالَ تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء:١٥٢].

ورَوَى مُسْلِمٌ عنْ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)].

ولا يصحُّ إيمانُ عبدٍ حتى يؤمنَ بجميعِ الأنبياءِ والمرسلينَ.

لقَولِهِ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]) [النساء:١٥٠].

ويجب الإيمانُ بمنْ سمَّى اللهُ تعالى في كتابِه، وبمن ذكرَ النبيُّ ﷺ في سنَّتِه منهم، إيمانًا مفصَّلًا على نحوِ ما جاءتْ به النصوصُ من ذكرِ أسمائِهم، وأخبارِهم، وفضائِلهم، وخصائِصهم، والإقرارُ لكلِّ واحدٍ منهم بالنُّبوةِ أو الرسالةِ على ما أخبرَ اللهُ ﷻ، ورسولُه ﷺ عنْهم.

والمذكورونَ من الأنبياءِ والرسلِ في القرآنِ خمسةٌ وعشرونَ، ذكرَ اللهُ منهم ثمانيةَ عشرَ في قولِهِ تعَالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٣-٨٦].

ووَرِدَ ذكرُ الباقينَ في مواضعَ أُخرى مِن القرآنِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا﴾ [آل عمران:٣٣].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا﴾ [الأعراف:٦٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا﴾ [الأعراف:٧٣].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ [الأعراف:٨٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء:٨٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ﴾ [الفتح:٢٩].

ويجب التصديقُ الجازمُ بأنَّ اللهَ تعالى بعثَ في كلِّ أمةٍ رسولًا يدعُوهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ لهُ، والكفرِ بما يُعبد من دونِ الله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

ويجب التصديقُ بأن جميعَ الأنبياء صادقونَ، بارُّونَ، راشدُونَ، كرامٌ بررةٌ، أتقياءُ أمناءُ، هداةٌ مهتدون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس:٥٢].

وقالَ تَعالى بعدَ أنْ ذكرَ طائفةً كبيرةً من الأنبياءِ والرُّسلِ: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام:٨٧-٨٨].

ويجب التصديقُ بأنَّ جميعَ الأنبياء كانوا على الحقِّ المبينِ، والهدَى المُستبينِ، جاءوا بالبيناتِ منْ ربِّهم إلى أقوامِهم.

قالَ تَعالى حكايةً عن أهلِ الجنةِ: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣].

وقالَ تَعالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

ويجب التصديقُ بأنَّ الرسلَ قد بلَّغوا جميعَ ما أُرسلوا به البلاغَ المبينَ، فقامتْ بذلك الحجةُ على الخلقِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن:٢٨].

وقالَ تَعالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

ويجب اعتقادُ أنَّ الأنبياءَ مَنصورونَ مؤيَّدونَ منَ اللهِ، وأن العاقبةَ لهم ولأتباعِهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١].

ويجب التصديقُ بأنَّ أصلَ دعوةِ الأنبياء واحدةٌ وهي الدعوةُ إلى توحيدِ اللهِ، وأمَّا شرائعُهم فمختلفةٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥].

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ[١]، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى[٢] وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ[٣]»[٤].

يعني بذلكَ التوحيدَ، الَّذِي بعثَ اللهُ به كل رسولٍ أرسلَه، وضمَّنَه كلَّ كتابٍ أنزلَه.

وأمَّا الشرائعُ فمختلفةٌ في الأوامرِ والنواهي، فقد يكونُ الشيءُ في شريعة حرامًا، ثم يكون حلالا في الشريعةِ الأخرى، وبالعكسِ، أو يكون في شريعة خفيفًا ثم يكون شديدا في الشريعةِ الأخرى[٥].

ومن ذلك: أن الغنائم التي يغنمها المجاهدون في المعارك كانت محرمة في الشرائع السابقة، ويجب عليهم أن يحرقوها، فإن احترقت دلَّ على أن الله تقبلها منهم، وإن لم تحترق دل على أن الله لم يتقبلها منهم؛ لأجل وجود الغلول والسرقة منها.

أما في شريعة النبي ﷺ فالغنائم مباحة للمجاهدين تقسَّم عليهم.

ومن ذلك أيضا: أن التوبة في الشرائع السابقة كانت تحتم على التائب أن يقتلَ

---

(١) أولاد العلات: هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ١١٩)].

(٢) أمهاتهم شتى: أي شرائعهم مختلفة. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٤٣)].

(٣) دينهم واحد: المراد به أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالى، وإن اختلفت صفتها، وأصول التوحيد والطاعة جميعا. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ١٢٠)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٩)، مسلم (٢٣٦٥).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

نفسه؛ ليتوب الله عليه، وهذا شديدٌ على النفس.

أما في شريعة النبي ﷺ فالتوبة خفيفة، وتكون بالإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم فعله بعد ذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

فهَذا إخبارٌ عن الأممِ المختلفةِ الأديانِ، باعتبارِ ما بعثَ اللهُ به رسلَهُ الكرامَ من الشرائعِ المختلفةِ في الأحكامِ، المتفقةِ في التوحيدِ(١).

والأنبياء ليسوا في درجةٍ واحدةٍ، بل فضَّلَ اللهُ بعضَهم على بعضٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء:٥٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وأفضلُ الأنبياءِ أولو العَزمِ، وهم ذُوو الحزمِ والصبرِ، وهم خمسةٌ: نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمدٌ ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب:٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وأفضلُ الأنبياءِ والرسلِ هو النبيُّ ﷺ.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

رَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»(١).

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنه يجب التصديقُ بأنَّ الرسلَ بَشرٌ مخلُوقونَ ليسوا بملائكةٍ، ولا آلهةٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم:١١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام:٨].

والرسالةُ، والنبوةُ منْحَةٌ إلهيةٌ أكرمَ اللهُ ﷻ بها أنبياءَه عليهمُ السلامُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [مريم:٥٨].

وقالَ تعالى حاكيًا عما قالَهُ يعقوبُ ﵇ لابنِهِ يوسفَ ﵇: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف:٦].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٧٣)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد (١٠٩٧٢)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨).

وقالَ تَعالى لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف:١٤٤].

وليس للأنبياء من خَصائصِ الرُّبوبيَّةِ أو الأُلوهِيَّةِ شيءٌ، لأن الربوبيةَ، والألوهيةَ من صفاتِ الله ﷻ لا يجوزُ وصفُ أحدٍ من الخلقِ بهما، وإن بلغَ مرتبةً عظيمةً، لذلك كانَ الرسلُ يتبرَّؤونَ من الحولِ والقوةِ، ولا يدَّعونَ شيئا مِنْ صفاتِ اللهِ تعالى.

قَال تَعالى مبيِّنا براءةَ عيسى عليه السلام مما نُسِبَ إِليه: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة:١١٦-١١٧].

وقالَ تَعالَى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تَعالى عنْ نوحٍ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ [هود:٣١].

وقالَ ﷻ آمرًا نبينَا محمَّدًا ﷺ أنْ يقولَ لقومِه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ [الأنعام:٥٠].

فهذا عبادَ الله هو الاصل الرابع من أصول الإيمان، قد منَّ الله علينا به، فلا نفرقُ بين رسل الله، ونؤمن بجميع الرسل، فنسأل الله أن يحشرنا معهم، وفي زمرتهم يوم القيامة.

الدعاء...

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- اللهم لا تُزغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا.
- اللهم ألِّفْ بين قلوبِنا.
- اللهم ارزقنا العمل بكتابك، وسنة نبيك ﷺ.
- اللهم قنا الفتن ما ظهر منها، وما بطن.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

١٤ـ معجزات الأنبياء عليهم السلام [١]

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**معجزات الأنبياء عليهم السلام**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

لقد أيَّدَ الله ﷻ أنبياءه ورسلَه بمعجزاتٍ؛ لتدلَّ على صدقِهم، وأنهم مُرسلُون من عندِ الله ﷻ.

وقد بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى ﷺ السحر، وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيَّرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار.

وأما عيسى ﷺ، فبُعِث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟.

وكذلك محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله ﷻ، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدا[(١)].

وفي هذه الدقائق المعدودة سنتكلم معكم عن أشهر معجزات الأنبياء، والرسل عليهم السلام.

فمنْ أشهرِ المعجزاتِ التي أَيَّدَ الله بها رسلَهُ عليهم السلامُ: السَّفينةُ لنوحٍ ﷺ، عندما يئسَ نوحٌ ﷺ من دعوةِ قومِه واستفرغَ معهم كلَّ أساليبِ الدعوةِ أمرَه اللهُ تَعالى أنْ يَصنعَ سفينةً عظيمةً لم يكنْ لها نظيرٌ، وأمرَه أنْ يَحملَ فيها من كل زوجينِ اثنين من الحيواناتِ، وسائرِ ما فيه رُوحٌ من المأكولاتِ وغيرِها لبقاءِ نسلِها، وأنْ يحملَ معه أهلَ بيتِه، إلَّا من كان كافرًا فإنه قد نفذتْ فيه الدعوةُ التي لا تردُّ، ووجبَ عليه حلولُ البأسِ الذى لا يُردُّ.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود:٣٧-٤٤].

ومنْ أشهرِ المعجزاتِ التي أَيَّدَ الله بها رسلَهُ عليهم السلامُ: الناقةُ لصالحٍ عليه السلام، عندَما دعا صالحُ عليه السلام قومه إلى عبادةِ الله الواحدِ الأحدِ، كذَّبوه وطلبُوا منه معجزةً تدلُّ على صدقِه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل:٤٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء:١٥٣-١٥٤].

فقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ: أَنَّ ثَمُودَ اجْتَمَعُوا يَوْمًا فِي نَادِيهِمْ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَالِحُ عليه السلام، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، وَذَكَّرَهُمْ، وَحَذَّرَهُمْ، وَوَعَظَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ.

فَقَالُوا لَهُ: إِنْ أَنْتَ أَخْرَجْتَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ -وَأَشَارُوا إِلَى صَخْرَةٍ هُنَاكَ- نَاقَةً مِنْ صِفَتِهَا كَيْتَ وَكَيْت، وَذَكَرُوا أَوْصَافًا سَمَّوْهَا وَنَعَتُوهَا وَتَعَنَّتُوا فِيهَا، وَأَنْ تَكُونَ عُشَرَاءَ طَوِيلَةً مِنْ صِفَتِهَا كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَالِحٌ ﵇: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَجَبْتُكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي طَلَبْتُمْ أَتُؤْمِنُونَ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، وَتُصَدِّقُونِي فِيمَا أُرْسِلْتُ بِهِ.

قَالُوا: نَعَمْ.

فَأَخَذَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى مُصَلَّاهُ فَصَلَّى لله ﷻ مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ دَعَا رَبَّهُ ﷻ أَنْ يُجِيبَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا فَأَمَرَ اللهُ ﷻ تِلْكَ الصَّخْرَةَ أَنْ تَنْفَطِرَ عَنْ نَاقَةٍ عَظِيمَةٍ كَوْمَاءَ عُشَرَاءَ عَلَى الْوَجْهِ المَطْلُوبِ الَّذِي طَلَبُوا وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي نَعَتُوا، فَلَمَّا عَايَنُوهَا كَذَلِكَ رَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا، وَمَنْظَرًا هَائِلًا، وَقُدْرَةً بَاهِرَةً، وَدَلِيلًا قَاطِعًا، وَبُرْهَانًا سَاطِعًا فَآمَنَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَاسْتَمَرَّ أَكْثَرُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الإسراء:٥٩]، أَيْ جَحَدُوا بِهَا، وَلَمْ يَتَّبِعُوا الحَقَّ بِسَبَبِهَا[١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرۡبٌ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ۝١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ۝١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٥٨﴾ [الشعراء:١٥٥-١٥٨].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٧٣﴾ [الأعراف:٧٣].

ومنْ أشهرِ المعجزاتِ التي أَيَّدَ الله بها رسلَهُ عليهم السلامُ: إِلانَةُ الحديدِ،

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ٣١١).

وتسبيحُ الجبالِ، والطيرِ معَ داودَ عليه السلام، فقد كانَ دَاودُ عليه السلام لا يحتاجُ إلى أن يُدخلَ الحديدَ النارَ ولا يضربُه بمِطرَقةٍ، بل كانَ يفتِلُه بيدِه، مثلَ الخيوطِ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أعطاهُ القدرةَ على إلانةِ الحديدِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١٠-١١].

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: أي جعلناه ليِّنًا في يده كالطينِ المبلولِ، والعجينِ[١].

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾: أي دروعًا واسعةً[٢].

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: أي أحْكمْهُ[٣].

وقد سخرَ اللهُ سبحانه وتعالى الجبالَ والطيرَ لتسبِّحَ مع داودَ عليه السلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠].

﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾: أي سبِّحي معهُ، فكانَ إذا سبَّحَ عليه السلام جاوبتْه الجبالُ بالتسبيحِ، وعكفتْ عليه الطيرُ من فوقِه تُسعِدُه على ذَلك[٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٨].

---

(١) انظر: التفسير الوجيز، للواحدي، صـ(٨٧٩).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، صـ(٣٩٥).

(٣) انظر: السابق، صـ(٦٦٠).

(٤) انظر: التفسير الوجيز، للواحدي، صـ(٨٧٩).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِهِ الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

فمِنْ أشهرِ المعجزاتِ التي أَيَّدَ الله بها رسلَهُ عليهم السلامُ: تسخيرُ الريحِ والطَّيرِ، والجنِّ: لسليمانَ عليه السلام، فكانت الريحُ تسيرُ بأمرِه حيثُ يشاءُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ:١٢].

فكَانَ يَغْدُو عَلَى بِسَاطِهِ مِنْ دِمَشْقَ فَيَنْزِلُ بِإِصْطَخَرَ يَتَغَذَّى بِهَا، وَيَذْهَبُ رَائِحًا مِنْ إِصْطَخَرَ فَيَبِيتُ بِكَابُلَ، وَبَيْنَ دِمَشْقَ وَإِصْطَخَرَ شَهْرٌ كَامِلٌ لِلْمُسْرِعِ، وَبَيْنَ إِصْطَخَرَ وَكَابُلَ شَهْرٌ كَامِلٌ لِلْمُسْرِعِ(١).

وقد كانَ سليمانُ عليه السلام يكلِّمُ الطيرَ، يفهمُ كلامَها، وتفهمُ كلامَه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل:١٧].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: أي حُبِسَ أوَّلهم على آخرِهم(٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل:١٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٩٩).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، صـ (٨٦٨).

وَكَانَ سليمانُ ﷺ يَعرِفُ لُغَةَ الطَّيْرِ وَالحَيَوَانِ أَيْضًا، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُعطه أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ(١).

وكانت الجنُّ يعملونَ بينَ يديه ﷺ ما يشاءُ مِنَ الْبنَايَاتِ وَغيْرِ ذلِكَ.

قَالَ تَعالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [سبأ:١٢].

ومنْ أشهرِ المعجزاتِ التي أَيَّدَ الله بها رسلَهُ عليهم السلامُ أنَّ إبراهيمَ ﷺ، لما حطَّمَ آلهةَ قومِه التي كانوا يَعبدونها، أشعَلوا له نارًا عظيمة، ورمَوه فيها، فأمرَ اللهُ ﷻ النارَ ألا تُصيبَه بأذًى، وأن تكونَ عليه بَرْدًا وسلامًا، فلم يحترق.

قالَ اللهُ تَعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠].

فلما أُلْقِيَ في النارِ لم تمسَّهُ بسوءٍ بأمرِ الله تعالى، كما قَالَ تَعالَى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء:٦٩].

وقد أحيا إبراهيمُ ﷺ الطيرَ بعدَ موتِها بإذنِ الله ﷻ.

قَالَ تَعالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:٢٦٠].

فأمرَه بذبحِ بعضِ الطيورِ، وتقطيعِها، وتفريقِها على عدَّةِ جبالٍ، ثم دعاهَا فلبَّتِ النداءَ، واجتمعتِ الأجزاءُ المتفرِّقةُ، والتَحمتْ كما كانت من قبلُ، ودبَّتْ فيها الحياةُ، وطارتْ محلِّقةً في الفضاءِ.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٨٢).

الدعاء...

- اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لنا، وترحمنا، وإذا أردت فتنةَ قوم فتوفَّنا غير مَفتونين.
- اللهم إنا نسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.
- اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه، وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم.
- اللهم إنا نسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونبيك ﷺ.
- اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرَّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيتَه لنا خيرا.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

١٥ـ معجزات الأنبياء عليهم السلام [٢]

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**معجزات الأنبياء عليهم السلام**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

لقد أَيَّدَ الله ﷻ أنبياءه ورسلَه بمعجزاتٍ عظيمة؛ لتدلَّ على صدقِهم، وأنهم مُرسلُون من عندِ الله ﷻ.

ومنْ أشهرِ هذه المعجزاتِ التي أَيَّدَ الله بها رسلَهُ عليهم السلامُ: العَصا، واليَدُ:

لموسى ﷺ، أما العصا فكانتْ تتحولُ إلى حيَّةٍ عظيمةٍ عندما يُلقيها موسى ﷺ على الأرضِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه:١٧-٢١].

وأما اليدُ، فكانَ موسى ﷺ يُدخلُ يدَه في جيبِه «فتحةِ قميصِهِ التي تُدخل مِنها الرأسُ»، ثم ينزِعُها، فإذا هي تتلألأُ كالقمرِ بياضًا من غيرِ سوءٍ، أي: من غيرِ برَصٍ، ولا بَهَقٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه:٢٢].

وأيَّدَ اللهُ ﷻ موسى ﷺ بسبعِ معجزاتٍ أصابَ بها بني اسرائيلَ، وهيَ:

١- **السِّنينَ**: هي ما أَصابهم من الجدْبِ والقحْطِ، بسببِ قلَّةِ مياهِ النيلِ، وانحباسِ المطرِ عن أرضِ مصرَ.

٢- **نقصُ الثمراتِ**: أي أنَّ الأرضَ تمنعُ خيرهَا، وما يَخرجُ منها يصابُ بالآفاتِ والجوائحِ.

٣- **الطوفانُ**: الَّذِي يُتلفُ المزارعَ، ويهدمُ المدنَ، والقرَى.

٤- **الجرادُ**: الَّذِي لا يدعُ خضراءَ ولا يابسةً.

٥- **القُمَّلُ**: هي حشرةٌ تؤذي الناسَ في أجسامِهم.

٦- **الضَّفادعُ**: التي نغَّصتْ عليهم عيشتَهم لكثرتِها.

٧- **الدمُ**: الَّذِي يصيبُ طعامَهم وشرابَهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) ﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣٣].

فهذه تسعُ معجزاتٍ بيِّنات أَرْسَلَ اللهُ ﷻ بها مُوسى عليه السلام إلى فرعونَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) ﴾ [الإسراء: ١٠١].

ومنْ أشهرِ المعجزاتِ التي أَيَّدَ اللهُ بها عيسى عليه السلام أنَّهُ كان يمسحُ الأكمَهَ -هو الَّذِي يُولدُ أعمى- فيبرأُ بإذنِ الله، ويمسحُ الأبرصَ -هو الَّذِي فيه بياضٌ في جلدِهِ يُحدثُ حِكَّةً شديدةً- فيُذهبُ اللهُ عنهُ برصَهُ، ويمرُّ على الموتَى فيُناديهم فيُحييهِم بإذنِ الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠].

وكانَ عليه السلام يصنعُ من الطينِ ما يُشبهُ الطيورَ، ثمَّ يَنفخُ فيها فتُصبحُ طيورًا بإذنِ الله.

قالَ تَعالى حاكيًا عنْ عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران: ٤٩].

ومن المعجزاتِ الأخرى التي أيدَ اللهُ بها عبدَه عيسى عليه السلام: المائدةُ التي أنزَلها الله منَ السماءِ عندما طلب الحواريونَ من عيسى إنزالها، وكانت على الحالِ التي طلبَها عيسى عليه السلام عيدًا لأوَّلهم وآخرِهم.

قَالَ تَعالَى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

وقد أَيَّدَ اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ بعدةِ معجزاتٍ، من أشهرها:

١-القُرآنُ الكريمُ:

قَالَ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

وقد تحدَّى اللهُ بهذا الكتابِ فصحاءَ العربِ، وقد كانتِ الفصاحةُ والبلاغةُ وجودةُ القولِ هي بضاعةُ العربِ التي نبغتْ بها، وكانَ مقتلُ هذه الدعوى أنْ يعارِضَ فصحاؤُهم هذا الكتابَ، ويأتوا بشيءٍ من مثلِه، ولكنَّهم عجزوا عن ذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨].

٢- انشقاق القمر:

عندَما سألَ أهلُ مكةَ الرسولَ ﷺ أن يُريَهم القمرَ نصفين، دعا ﷺ ربه ﷻ، فانشقَّ القمرُ شقَّين، حتَّى رأوا حراءَ بينهما، وقدْ كانَ القمرُ عند انشقاقِهِ بدرًا.

فأنكروا ذلك إنكارا شديدًا، وقالوا: سحرنا محمدٌ، وقال بعضهم: اسألوا القوافل بعد رجوعها هل رأتْ مثل ما رأينا؟، فلما رجعت القوافل سألوا أهلها، فقالوا: لقد رأينا القمر انشق نصفين في يوم كذا وكذا، فقال الكفار: هذا سحرٌ مستمر في جميع الأقطار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر:١-٢].

وقد شاهدَ الناسُ هذِه المعجزَةَ في أنحاءِ الجزيرةِ العربيةِ، وخارجِها[1].

٣- تكثيرُه الماءَ ﷺ ونبعُهُ من بينَ أصابعِهِ الشريفةِ:

رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ[2] فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ[1]، فَقَالَ: «**مَا لَكُمْ؟**».

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٢٩٤).

(٢) ركوة: أي إناء صغير من الجلد يشرب منها الماء.

قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ، وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ(٢) بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا.

وَلَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً(٣).

٤- بكاء، وحنينُ الجذْعِ له ﷺ:

رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ(٤) النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ العِشَارِ(٥) حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ(٦)**»(٧).

٥- تسليمُ الحجرِ عليهِ ﷺ:

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**»(٨).

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي، ولكم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

---

(١) فجهش الناس نحوه: أي أسرعوا إلى أخذ الماء.

(٢) يثور: أي يخرج متدفقا.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٥٧٦).

(٤) يقوم إليه: أي يستند عليه وهو يخطب.

(٥) العشار: جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر.

(٦) فوضع يده عليه: أي فسكن.

(٧) صحيح: رواه البخاري (٩١٨).

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٧).

فمن المعجزات التي أيّد الله بها رسولَنا محمدًا ﷺ تكثيرُه ﷺ الطعامَ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ الله ﷺ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟.

قَالَتْ: نَعَمْ.

فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا[1] لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ[2] تَحْتَ يَدِي وَلَاثَتْنِي[3] بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟».

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: «بِطَعَامٍ؟».

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا».

فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟.

فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ».

---

(١) خمارا: أي ثوبا تغطي به المرأة رأسها.

(٢) دسته: أي أدخلته بقوة.

(٣) لاثتني: أي لفت بعضه على رأسه، وبعضه على إبطه، من الالتياث، وهو الالتفاف.

فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً[١] فَأَدَمَتْهُ[٢].

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ[٣]، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا.

ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا.

ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ، أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا[٤].

الدعاء...

- اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تُشْمِت بنا عدوا، ولا حاسدا.
- اللهم إنا نسألك من كل خير خزائنه بيدك، ونعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك.
- اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.
- اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا،

---

(١) عكة: أي إناء مستدير من جلد يجعل فيه السمن والعسل غالبا.

(٢) فأدمته: أي جعلته إداما للمفتوت.

(٣) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: أي دعا بالبركة، وقال: بسم الله.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

- اللهم إنا نعوذ بك من الجُبن، ونعوذ بك من البخل، ونعوذ بك من أن نُردَّ إلى أرذل العمر، ونعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

١٦ـ الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: **«الإسْراءُ والمعراجُ برسولِ اللهِ ﷺ»**.

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

لقد أيَّد اللهُ رسولَنا محمدًا ﷺ بعدة معجزات باهراتٍ، منها: معجزة الإسراء والمعراج.

والإسراءُ: هو الإسراءُ برسولِ اللهِ ﷺ من المسجدِ الحرامِ بمكةَ إلىٰ بيتِ المقدسِ، ورجوعُه ﷺ من ليلتِه.

والمعراجُ: هو صعودُ النبيِّ ﷺ بصحبةِ جبريلَ ﵇ من بيتِ المقدسِ إلىٰ السماءِ الدنيا ثم باقي السماواتِ إلىٰ السماءِ السابعةِ، ورؤيةُ الأنبياءِ في السماواتِ علىٰ منازِلِهم، ثم صعودُه إلىٰ سدرةِ المنتهىٰ، ورؤيتُه جبريلَ ﵇ عندَها علىٰ الصورةِ التي خلقَه اللهُ عليها، ثم فرضَ اللهُ عليه الصلواتِ الخمسَ تلكَ الليلةَ، وتكليمُ اللهِ له بذلك، ثم نزولُه ﷺ إلىٰ الأرضِ(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

حيث أسريَ به ليلًا من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى راكبًا على البُراقِ بصحبةِ جبريلَ ﵇ حتى وصلَ بيتَ المقدسِ، فربطَ البُراقَ بحلْقةِ بابِ المسجدِ، ثم دخلَ المسجدَ وصلَّى فيه بالأنبياءِ إمامًا، ثم جاءَه جبريلُ بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ فاختارَ اللبنَ على الخمرِ، فقال له جبريلُ: «**هُدِيتَ للفطرةِ**»(٢).

ورَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ**».

قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ**».

قَالَ: «**ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ ﵇ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ.**

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٣٣٩-٣٤١)، وأصول الإيمان، صـ(١٧٩-١٨٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨)، عن أبي هريرة ﵁.

فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم:٥٧].

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَىٰ السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ(١)، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ.

فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَيْنَ مُوسَىٰ ﷺ حَتَّىٰ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»(١).

---

(١) سميت سدرة المنتهى؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها.

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وسَلامًا على عبدِهِ الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

فقد اتفقتْ كلمةُ علماءِ المسلمينَ سلفًا وخلفًا وانعقدَ إجماعُهم على صحةِ الإسراءِ برسولِ الله ﷺ، وأنه حقٌّ[٢].

والإسراءُ كان بروحِ النبيِّ ﷺ وجسدِه، يقظةً لا منامًا.

لقول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء: ١].

والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح[٣]، ولو كان منامًا لصدَّقتهُ قريشٌ، فإنها لا تنكر المنامات.

ولما عُرِج بالنبيِّ ﷺ إلى السماواتِ العُلى، رأى من آياتِ ربِّه الكبرى، ورأى جبريلَ عليه السلام على صورتِهِ الحقيقيةِ التي خلقَه الله عليها، وصعِدَ به إلى سدرةِ المنتهى، وجاوزَ السبعَ الطباقَ، وكلَّمهُ اللهُ سبحانه وتعالى، وقرَّبَهُ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ [النجم: ١٢-١٨].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٢).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (١/ ٣٤٤).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

قَال ابنُ مَسعُودٍ ﷺ: «غَشِيَهَا فَرَاشٌ[١] مِنْ ذَهَبٍ»[٢].

وقد استعظمتْ قريشٌ دعوى رسولِ الله ﷺ، فقدْ كانتِ القوافلُ تمضي الأسابيعَ في الذَّهابِ إلى بيتِ المقدسِ والعودةِ منه، فكيفَ يتسنَّى لرجلٍ أنْ يمضيَ، ويعودَ في جزءٍ من ليلةٍ! ذلك أمرٌ عجيبٌ، وهو حقًّا عجيبٌ، ولكنِ العجبُ يتلاشى إذا علِمنا أنَّ الَّذِي أسرى به هو اللهُ تَعالى، واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

الدعاء...

• اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا.

• اللهم إنا نسألك من كل خير خزائنه بيدك، ونعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك.

• اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

• اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

• اللهم إنا نعوذ بك من الجبن، ونعوذ بك من البخل، ونعوذ بك من أن نُردَّ إلى أرذل العمر، ونعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

---

(١) الفراش: مثل الجراد ونحوه، مما يطير ويقع علىٰ الشجر.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٩).

❑ ❑ ❑

١٧ـ خصائصُ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان:

«**خصائص الأنبياء عليهمُ السلامُ**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

لقد اختصَّ اللهُ أنبياءَهُ ورسلَه عليهم الصلواتُ والسلامُ دونَ سائرِ البشرِ بخصائصَ كثيرةٍ، منها:

الأولى: الوحي، فلا يوحي الله ﷻ إلا لنبي من أنبيائه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا الوحيُ يقتضي عدَّةَ أمورٍ يفارقون بها الناسَ، فمِن ذلك تكليمُ اللهِ بعضَهم، واتصالُهم ببعضِ الملائكةِ، وتعريفُ اللهِ لهم شيئًا من الغيوبِ الماضيةِ أو الآتيةِ، وإطلاعُ اللهِ لهم على شيءٍ من عَالمِ الغيبِ(١).

الثانية: العِصمةُ في تحمُّلِ الرسالةِ، فقد اتفقتِ الأمةُ على أنَّ الرسلَ معصومونَ في تحمُّلِ الرسالةِ، فلا ينسونَ شيئًا مما أوحاه اللهُ إليهم إِلَّا شيئًا قد نُسخَ، وقد تكفَّل الله لرسولهِ ﷺ بأن يُقرِئَه فلا ينسى شيئًا مما أوحاه إليه، إلا شيئًا أرادَ اللهُ أن ينسيَه إياهُ(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الأعلى: ٦-٧].

وتكفَّلَ ﷻ له بأنْ يجمعَهُ في صدرِه، فَقَال ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٨].

الثالثة: العصمة في تبليغ الرسالة، فلا يكتمونَ شيئًا ممَّا أوحاهُ اللهُ إليهم؛ لأنَّ الكتمانَ خيانةٌ، والرسلُ يستحيلُ أنْ يكونوا كذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) انظر: الرسل والرسالات، صـ (٨٩).

(٢) انظر: الرسل والرسالات، صـ (٩٥-٩٦).

ولو حدثَ شيءٌ من الكِتمانِ أو التغييرِ لما أوحاهُ الله، فإنَّ عقابَ اللهِ يَحلّ بذلك الكاتِمِ المغيِّرِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

ومنَ العصمةِ ألَّا ينسوا شيئًا مما أوحاهُ الله إليهم، وبذلكَ لا يضيعُ شيءٌ منَ الوحي.

وعدمُ النسيانِ في التبليغِ داخلٌ فِي قَولِهِ تَعَالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الأعلى: ٦-٧].

ومِمَّا يدلُّ على عصمتِه في التبليغِ قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣-٤].

الرابعة: العصمة مِن ارتِكابِ الكبائرِ، فقد أجمعتِ الأمةُ الإسلاميةُ على عصمةِ الأنبياءِ والرسلِ من كبائرِ الذنوبِ وقبائحِ العيوبِ، كالزنى، والسرقةِ، وصناعةِ الأصنامِ وعبادتها، والسحرِ، ونحوِ ذلك، وقد برَّأَ كتابُ اللهِ وسنةُ رسولِهِ أنبياءَ الله ورسلَهُ عليهم السلام مما افتراهُ عليهم اليهودُ والنصارى في المحرَّف منْ كتبِهِم.

الخامسة: تنامُ أعينُهُم، ولا تنامُ قلوبُهُم.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أنسٍ ﷺ في حَديثِ الإسراءِ: «**وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ**»(١).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٧٠)، ومسلم (٧٦٣)، عن ابن عباس.

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»[١].

السادسة: يُخيَّرونَ عندَ الموتِ بين البقاء في الدنيا، والآخرةِ.

رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»، وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩]، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ[٢].

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ[٣]، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ المَوْتَ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ[٤] ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ[٥] مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ[٦]»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٥٨٦).

(٣) صكه: أي لطمه على وجهه فأصاب عينه وفقأها.

(٤) متن: أي ظهر.

(٥) يدنيه: أي يقرِّبه.

(٦) رمية بحجر: أي بحيث لو رمى رام حجر من الموضع لوصل إلى بيت المقدس.

الله ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ[١] لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ[٢] الأَحْمَرِ»[٣].

السابعة: لم يُقبضْ نبيٌّ قطُّ حتَّى يرى مقعدَه من الجنةِ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يُرَى مَقْعَدُهُ فِي الجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ»[٤].

الثامنة: لا يُقبرُ نبيٌّ منهم إلَّا في الموضعِ الَّذِي ماتَ فيه.

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لم يَدرُوا أَيْنَ يَقْبُرُونَ النَّبِيَّ ﷺ، حَتَّى قَالَ أَبو بَكْرٍ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ**»، فَأَخَّرُوا فِرَاشَهُ، وَحَفَرُوا لَهُ تَحْتَ فِرَاشِهِ[٥].

ولهذا فإنَّ الصحابةَ ﷺ دفنوا الرسولَ ﷺ في حجرةِ عائشةَ رضي الله عنها حيثُ قُبِضَ.

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

فمما اختَصَّ اللهُ به أنبياءهُ عليهم السلامُ:

التاسعة: أن الأرضَ لا تأكلُ أجسادَهم، وهذا من إكرامِ الله لأنبيائِهِ

---

(١) ثَمَّ: أي هناك.

(٢) الكثيب: أي الرمل المجتمع.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٢٤٤٤).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠١).

ورسلِه عليهمُ السلامُ، فمهما طالَ الزمانُ وتقادمَ العهدُ تبقى أجسادُهم في قبورِهِم محفوظةً من البِلى.

رَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»(١).

العاشرة: الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يُصَلُّونَ.

رَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»(٢).

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ(٣)، جَعْدٌ(٤) كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ(٥)، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»(٦).

وروىٰ البَزَّارُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَن أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وأحمد (١٦١٦٢)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٧٥).

(٣) ضرب: أي نحيف.

(٤) جعد: أي شعره غير مسترسل.

(٥) رجال شنوءة: حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٧٢).

فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ»[١].

الحادية عشرة: الأنبياءُ لا يُورَّثونَ، وما تَركُوهُ صدقةٌ.

رَوَىٰ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عن أَبي بَكْرٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»[٢].

فهذه بعض الأمور التي اختص الله بها أنبياءه عليهم السلام مما يدل علىٰ علو قدرهم، ورفعة منزلتهم عند ربهم ﷻ، ويزيد من تقديرنا وحبنا لهم، نسأل الله أن يجمعنا بهم في جنته.

الدعاء...

- اللهم اغفر لنا خطايانا، وجهلنا، وإسرافنا في أمرنا، وما أنت أعلم به منا.
- اللهم اغفر لنا هزلنا، وجِدَّنا، وخطأنا، وعمدنا، وكل ذلك عندنا.
- اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.
- اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا.
- اللهم إنا نعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون.
- اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامةَ من كل إثم، والغنيمةَ من كل بر، والفوزَ بالجنة، والنجاة من النار.
- اللهم اغفر لنا، وللمؤمنين والمؤمنات.

---

(١) صحيح: رواه البزار في مسنده (٦٨٨٨)، وتمام في فوائده (٥٨)، وأبو يعلى في المسند (٣٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٧).

- اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر، والفسوق، والعصيان.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

١٨ـ واجِبُنَا نحوَ رسولِنَا ﷺ، وأصحابه ﷺ

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**واجِبُنَا نحوَ رسولِنَا ﷺ، وأصحابه ﷺ**».

وسوف ينتظم حديثنا معكم حول ثلاثة محاور:

المحور الأول: واجبنا نحو رسولنا ﷺ.

المحور الثاني: واجبنا نحو أصحاب رسول الله ﷺ.

المحور الثالث: كرامات الأولياء.

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

المحور الأول: واجبنا نحو رسولنا ﷺ:

اعلموا أيها الإخوة المؤمنونَ أَنَّهُ يجبُ علينا أنْ نُصَدِّقَ رسولَ اللهِ ﷺ في كلِّ ما أخبرَ بهِ ﷺ؛ لأنَّه يُخبرُ عنِ الله ﷻ، ومن كذَّبَ بهِ في شيءٍ مما جاءَ به فقد كذَّب بالقرآنِ.

قَالَ تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤].

وقَالَ تَعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ويجبُ علينا الائْتِمَارُ بمَا أَمرَ به رسولُنا ﷺ.

قَالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

وقَالَ تَعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٩٢﴾ [المائدة: ٩٢].

وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وقَالَ تَعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وروَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ(١) حَتَّى يَشْهَدُوا(٢) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا(٣) مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ(٤)، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ(٥)»(٦).

ولكنَّ الأمرَ مقيَّدٌ بالاستطاعةِ، فمن عجزَ عن فعلِ أمرٍ سقط عنه.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٧).

ويجبُ علينا الانْتهاءُ والكفُّ عن كلِّ ما نَهى عنْهُ رسولُنا ﷺ.

قَالَ تَعالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٨).

وعلينا أنْ نتشبَّهَ برسولِ اللهِ ﷺ في أقواله وأفعاله الظاهرةِ والباطنة،

---

(١) أقاتل الناس: أي بعد عرض الإسلام عليهم.

(٢) يشهدوا: أي يعترفوا بكلمة التوحيد أي يسلموا أو يخضعوا لحكم الإسلام إن كانوا أهل كتاب يهودا، أو نصارى.

(٣) عصموا: أي حفظوا وحقنوا، والعصمة الحفظ والمنع.

(٤) إلا بحق الإسلام: أي إلا إذا فعلوا ما يستوجب عقوبة مالية أو بدنية في الإسلام، فإنهم يؤاخذون بذلك قصاصا.

(٥) وحسابهم على الله: أي فيما يتعلق بسرائرهم وما يضمرون.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

كالصلاةِ، والصيامِ، والحجِّ، والزكاةِ، والاستنانِ بهِ ﷺ في كيفيَّةِ أكلِه وشربِه ونومِه، وخوفه من الله، ومحبته لله، وإنابتهِ إلى الله، ورجائه فيما عند الله، وأخلاقِه كحِلمِه، وكَرمِهِ، وشجاعتِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

فالمحبة تقتضي اتباع المحبوب في أقواله، وأفعاله، وإلا كانت محبةً كاذبة.

فالذي يحبُّ النبي ﷺ هو من يعمل بما أمر الله به، ويجتنب ما نهى عنه ﷺ.

وعلينا أن نصلِّيَ ونُسَلِّمَ عليهِ ﷺ عِند ذِكْرِهِ ﷺ، وهذا من كمال توقيرِه ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ورَوَى مُسْلِمٌ عنْ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[1].

ورَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»[2].

ومعنى «اللهمَّ صلِّ على محمدٍ»: اللهمَّ امدحْهُ، وأثنِ عليه في الملأِ الأعلى.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٤٦)، والنسائي في الكبرى (٩٨٠٢)، وصححه الألباني.

وقد صرَّحَ العلماءُ بوجوبِ الصلاةِ على النَّبيِّ ﷺ في الجملةِ، ونقلَ بعضُهم الإجماعَ على ذلكَ(١).

المحور الثاني: واجبنا نحو أصحاب رسول الله ﷺ:

مما يجب علينا نحو رسولِنا ﷺ أن نُحِبَّ، ونوقِّرَ أصحابَهُ ﷺ، فهم خيرُ القرونِ، وأَفضلُ هذه الأمةِ بعدَ النبي ﷺ، وهم الذين نقلوا لنا سنته ﷺ.

ومما يجب علينا نحو أصحابِ رسولِ الله ﷺ:

١- اعتقادُ فضلِهم على غيرِهم، وأنَّهم أفضلُ الناسِ بعد الأنبياءِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تَعَالَى ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح:١٨].

وقال تَعَالَى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:٨-١٠].

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/ ٦١).

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الله بنِ مسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(١).

وروى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(٢).

٢- **محبَّتُهُم ومُوالاتُهُم**؛ لأنهم حملةُ هذا الدينِ، فالطعنُ فيهم طعنٌ في الدِّينِ كلِّه؛ لأَنَّهُ وصلَنا عن طريقِهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وروى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ(٣) الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»(٤).

٣-الكَفُّ عمَّا شجرَ بينهُم، وأنَّهُم مجتهدُونَ، فمن أصابَ فلَه أجرانِ، ومنهم من أخطأَ فله أجرٌ واحدٌ، فمنْ تنقَّصَهم، أو سبَّهم، أو نالَ من أحدٍ منهم فهو من شرِّ الخليقةِ؛ لأنَّ عملَهُ هذا اعتداءٌ على الدِّينِ كلِّهِ.

فيجبُ على المسلمينَ عدمُ الخوضِ فيما جَرى بينهُم مِن خلافٍ، وتَركُ سرائرِهِم إلى الله تَعالى.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»(١).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٤٧٧٨)، وصححه الألباني.

(٣) آية: أي علامة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٣٧٨٤).

وروى ابنُ أَبِي شَيبَةَ بِسندٍ حَسنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله، وَالمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(٢)»(٣).

وروَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(٤).

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَهُمْ كَانُوا عَلَى الهَدْيِ المُسْتَقِيمِ»(٥).

وقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٢) هذا وعيد شديد لمن ارتكب هذا، ومعناه: أن الله تعالى يلعنه، وكذا يلعنه الملائكة، والناس أجمعون، وهذا مبالغة في إبعاده عن رحمة الله تعالى، فإن اللعن في اللغة هو الطرد، والإبعاد، والمراد باللعن هنا العذاب الذي يستحقه على ذنبه والطرد عن الجنة أول الأمر، وليست هي كلعنة الكفار الذين يبعدون من رحمة الله تعالى كل الإبعاد. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٩/ ١٤١)].

(٣) حسن: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤١٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٢)، عن عطاء مرسلا، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٤٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

(٥) انظر : شرح السنة، للبغوي (١/ ٢١٤)، وحلية الأولياء، للأصبهاني (١/ ٣٠٥).

(٦) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٢-١٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤-٢١٥)، وصحح إسناده أحمد شاكر.

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

المحور الثالث: كرامات الأولياء:

اعلموا أيها المسلمون أن من أصولِ الإيمانِ التي يجب على المسلمِ أن يُصَدِّق بها كراماتُ الأولياءِ.

والأولياء: همُ المؤمنونَ الأتقياءُ، فكلُّ مؤمنٍ تقيٍّ وليٌّ لله ﷻ.

ولا تثبتُ الكرامة لأحدٍ حتى يكونَ مؤمنًا تقيًّا متَّبِعًا للنبي ﷺ.

لقَولِهِ تَعَالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

قال العلماء: «**من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا**»[1].

وكراماتُ الأولياءِ كثيرةٌ **منها:** أن زكريا عليه السلام كلما دخل على مريم وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء[2]، كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٣٧].

- قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فلم يستطيعوا الخروج حتى ذكر كل واحد منهم عملا أخلصه لله ﷻ[3].
- أن العلاء الحضرمي رضي الله عنه مشى، وجَيشُه على الماء، فما ابتلت قَدمٌ، ولا خُفٌّ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: كرامات الأولياء، للالكائي، صـ (٧٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣)، من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

بعيرٍ، ولا حافرُ دابَّةٍ، وكان الجيش أربعة آلاف[1].

الدعاء...

- اللهم اغفر لنا ذنوبنا، ووسع لنا في دُورِنا، وبارك لنا فيما رزقتنا.
- اللهم إنا نسألك من فضلك ورحمتك؛ فإنه لا يملكها إلا أنت.
- اللهم إنا نعوذ بك من الهَرَم، والتردي، والهدم، والغمِّ، والغرق، والحرق، ونعوذ بك من أن يتخبطنا الشيطان عند الموت.
- اللهم باعد بيننا، وبين خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب.
- اللهم ارزقنا العلمَ النافع، والعملَ الصالحَ.
- اللهم إنا نعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع، ونعوذ بك من الخيانة؛ فإنها بئست البطانة.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: كرامات الأولياء، للالكائي، صـ(١٦٢).

١٩ - علاماتُ الساعةِ الكُبرَى [١]

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَديثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**علاماتُ الساعةِ الكُبرَى**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

قبل الشروع في هذا الموضوع ينبغي أن نقدِّمَ بمقدمةٍ هامة حتى نكونَ على بصيرة من أمرنا.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنونَ أنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ ركنٌ من أركانِ الإيمانِ، وأصلٌ من أصولِهِ لا يتحقَّقُ الإيمانُ إلَّا بِه.

قَالَ تَعَالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

ورَوَى مُسْلِمٌ عنْ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

ومن كفرَ باليومِ الآخرِ أو بأيِّ ركنٍ من أركانِ الإيمانِ فقد كفرَ باللهِ.

قَالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

والَّذِي يموتُ وهو مُصِرٌّ على معصيةٍ سواء كانتْ صغيرةً أو كبيرةً، لا يُحكمُ عليه بدخولِ النارِ، وإنما نعتقد أنَّ اللهَ إن شاءَ عذَّبه عدلًا منه ﷻ، وإن شاءَ غفرَ له فَضلًا وكَرمًا منه ﷻ.

وقد دلَّ الكتابُ والسُّنةُ على أنَّ المصرَّ على معصيةٍ غيرِ مكفِّرةٍ، مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، ويُسمَّى فاسقًا وعَاصيًا.

وكذلكَ مرتكبُ الكبيرةِ غيرِ المكفِّرةِ مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، ويُسمَّى فاسقًا وعَاصيًا.

لقولِ الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات: ٩-١٠].

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ(١) مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا(٢)، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، أَوِ الحَيَا(٣)، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟(٤)»(٥).

ومنْ دخلَ النارَ منَ أصحابِ المعاصي من المؤمنين لا يخلَّدُ فيها بل مآلُه إلى الجنةِ بما معَه من التوحيدِ والإيمانِ، وهذا مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ(٦) مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ

---

(١) خردل: هو نبات صغير الحب يشبه به الشيء البالغ القلة.

(٢) امتحشوا: أي احترقوا.

(٣) الحيا: أي المطر سمي حيا؛ لأنه تحيا به الأرض، وكذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون وتحدث فيهم النضارة كما يحدث ذلك في الأرض.

(٤) ملتوية: أي ملفوفة مجتمعة، وقيل: منحنية.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤).

(٦) الخير: أي الإيمان.

قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً[(١)]»[(٢)].

وروى البُخَارِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ»[(٣)].

وروى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[(٤)].

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنَّ القيامةَ لن تقومَ حتى يحدثَ قبلها علاماتٌ تدلُّ على وقوعها، ويمكنُ تقسيمُ هذه العلاماتِ إلى ثلاثةِ أقسام:

القسمُ الأولُ: قِسمٌ مَضى: منها بَعْثةُ النبيِّ ﷺ، وانشقاقُ القمرِ، وخروجُ نارٍ من أرضِ الحجازِ تُضيءُ أعناقَ الإبلِ ببُصرَى، وغيرُها.

القسم الثاني: قِسمٌ لا يزالُ يتجدَّدُ، ككثرةِ الهرْجِ - أي القتلِ -، وأن تلدَ الأمةُ ربَّتَها، وتطاولِ الحفاةِ العُراةِ رعاءِ الشاءِ في البُنيانِ، وغيرِها.

القسم الثالث: قِسمٌ لَا يأتي إلَّا قُربَ قيامِ الساعةِ تمامًا، وهيَ العلاماتُ العشرُ الكُبرى.

وهذه العلاماتُ العشرُ الكُبرى هي التي يعْقُبُها قيامُ القيامةِ، ولم يظهرْ منها شيءٌ فيما مضى، وهي مذكورة في حديث رواه مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟».

قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ.

---

(١) ذرة: أي النملة الصغيرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٦٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢)، وصححه الألباني.

قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(١).

وَهذه العلاماتُ متتابعةٌ كتتابعِ الخرزِ في النظامِ فإذا ظهرتْ إحداهَا تبعتْها الأخرى.

فقد روى الدِّينُوري بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خُرُوجُ الآيَاتِ بعضِها عَلَىٰ إِثْرِ بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتَتَابَعُ الخَرَزُ فِي النِّظَامِ»(٢).

أَمَّا العلامةُ الأولى منْ علاماتِ الساعةِ الكبرَى، فهي خروجُ الدَّجَّالُ، وهي أعظم فتنة يراها البشر في الدنيا؛ لذا كان كل نبي يحذر قومه منه.

والدجال هو رجلُ يخرجُ في آخرِ الزمانِ يدَّعِي الربوبيةَ والأُلوهيةَ(٣)، فيُفتَنُ به كثيرٌ من الخلقِ، يُجري اللهُ عَلى يدَيه بعضَ الأعمالِ الخارقةِ، ولا يروجُ باطلُهُ على المؤمنِ، ويدخلُ جميعَ البلادِ إلَّا مكةَ والمدينةَ، ومعه نارٌ وجنةٌ، فنارُهُ جنةٌ، وجنتُه نارٌ(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) صحيح: رواه الدينوري في المجالسة (٢١٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٣٣)، والطبراني في الأوسط (٤٢٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٢٧).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٠٢).

(٤) انظر: الاعتماد شرح لمعة الاعتقاد، للمؤلف، صـ (٦٣)، والقيامة الصغرى، د. الأشقر، صـ (٢٢٣-٢٢٥).

ودلَّ على خروجِه ما رواه مُسلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ»(١).

وما رواه البخاري ومُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٢).

والعَلامةُ الثانيةُ منْ علاماتِ الساعةِ الكبرَى هيَ نُزولُ عِيسَى ابنِ مريمَ عليه السلام

، وسينزلُ من السماءِ إلى الأرضِ حاكمًا عادلًا فيكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويقضي عَلى الدجَّالِ.

ودلَّ عَلى نزولهِ قولُهُ تَعالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزُّخرُف: ٦١].

فَقولُهُ تَعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: أي عيسى عليه السلام من أعلامِ الساعةِ(٣).

وَقولُهُ تَعالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء:١٥٧-١٥٩].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٣٧)، ومسلم (١٦٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٦٣١).

وما رواه البخاري ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ(١) أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا(٢) مُقْسِطًا(٣)، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ(٤)، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ(٥)، وَيَفِيضَ(٦) المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»(٧).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

ودلَّ على نزولِ عيسى ﷺ في آخر الزمان ما رواه مسلمٌ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ، وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ(٨) النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ.

---

(١) ليوشكن: أي ليقربن.

(٢) حكما: أي حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة.

(٣) مقسطا: أي عادلا.

(٤) فيكسر الصليب: يكسره حقيقة، ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه.

(٥) ويضع الجزية: أي لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل الجزية منهم لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل.

(٦) يفيض: أي يكثر.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

(٨) طائفة: أي مجموعة.

فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ[١]، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ[٢] دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ[٣] عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ.

إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً[٤] بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ[٥] يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟

قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟

قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟

قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ[٦] أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا[١]، وَأَسْبَغَهُ[٢] ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ[٣] خَوَاصِرَ.

---

(١) أخوفني عليكم: أي أخاف عليكم.

(٢) فأنا حجيجه: أي دافعه عنكم بالحجة.

(٣) قطط: أي شديد جعودة شعر الرأس.

(٤) خلة: أي طريق.

(٥) عاث: أي أفسد.

(٦) سارحتهم: أي ماشيتهم.

ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ(٤) لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ(٥) النَّحْلِ.

ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ(٦) رَمْيَةَ الْغَرَضِ(٧)، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ(٨)، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ(٩) رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ(١٠)، فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»(١١).

الدعاء...

---

(١) ذرا: جمع الذروة وهي أعلى الشيء، والمراد السنام.

(٢) أسبغه: أي أعظمه.

(٣) أمده: أي أطوله.

(٤) ممحلين: أي مجدبين.

(٥) يعاسيب: جمع يعسوب، وهو ذكر النحل.

(٦) جزلتين: أي قطعتين.

(٧) رمية الغرض: أي بُعدَ ما بين القطعتين يكون بقدر رمية السهم إلى الهدف.

(٨) مهرودتين: مثنى المهرودة: الحلة، وقيل: الثوب المهرود الذى يصبغ بالورْس والزعفران.

(٩) طأطأ: أي خفض.

(١٠) بباب لُد: يقع في فلسطين.

(١١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧).

- اللهم إنا نعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهَرَم، والقسوة، والغفلة، والعِيلة، والذِّلَّة، والمسكنة.
- اللهم إنا نعوذ بك من الفقر، والكفر، والفسوق، والشقاق، والنفاق، والسمعة، والرياء.
- اللهم إنا نعوذ بك من الصمم، والبكم، والجنون، والجذام، والبرص، وسيِّئ الأسقام.
- اللهم إنا نعوذ بك من الفقر، والفاقة، والقلة، والذِّلَّة، ونعوذ بك من أن نَظْلم أو نُظْلم.
- اللهم إنا نعوذ بك من جار السوء في دار المقامة.
- اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، نعوذ بك من هؤلاء الأربع.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٢٠ - علاماتُ الساعةِ الكُبرَى [٢]

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ لا يزال موصولا عن **«علامات الساعةِ الكُبرَى»**.

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

ذكرنا في الجمعة الماضية علامتين من علامات قيام الساعة، وهما:

العلامة الأولىٰ: خروج الدجال.

العلامة الثانية: نزول عيسىٰ ابن مريم ﷺ.

وأما العلامةُ الثالثةُ من علاماتِ قيامِ الساعةِ الكبرى فهي خروجُ يَأجوجَ ومأجوجَ، وهي علامة رهيبةٌ مهيبةٌ.

وهم خلقٌ كثيرٌ من ذريةِ آدمَ ﷺ لا طاقةَ لأحدٍ بقتالهِم.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ»[1].

ويَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ موجُودونَ الآنَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ [الكهف:٩٤].

ودلَّ على خروجِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧]

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢).

وما رواه البخاري ومُسْلِمٌ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ**(١) **لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ**(٢) **يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا.

فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ، وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟.

قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**(٣)»(٤).

وما رواه مسلمٌ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: **بَيْنَمَا عِيسَى ابنُ مَريمَ عليه السلام بينَ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ**(٥) **عِبَادِي إِلَى الطُّورِ.**

وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ(٦) **يَنْسِلُونَ**(٧)**، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ**(٨)**، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ**(٩) **نَبِيُّ اللهُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ**

---

(١) ويل: كلمة تستعمل للحزن، والهلاك، والمشقة.

(٢) ردم: أي سد.

(٣) الخبث: أي الفسوق، والفجور، والمعاصي.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٥) حرِّز: أي ضُم.

(٦) الحدب: الغليظ من الأرض في ارتفاع.

(٧) ينسلون: يخرجون مسرعين.

(٨) بحيرة طبرية: تقع الآن في سورية.

(٩) يحصر: أي يحبس.

مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ(١) نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ(٢) فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى(٣) كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ(٤)، وَنَتَنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ(٥) فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ(٦) مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ(٧) وَلَا وَبَرٍ(٨) فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ(٩).

ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا(١٠)، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ(١١) حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ(١٢) مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ(١٣) مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ(١٤) مِنَ النَّاسِ.

---

(١) يرغب: يدعو.

(٢) النغف: جمع النغفة، وهو دود يوجد في أنوف الإبل، والغنم فتموت به في أقرب وقت.

(٣) فرسى: جمع الفريس وهم القتلى.

(٤) زهمم: أي رائحتهم المنتنة.

(٥) البخت: واحدتها البختية وهى الناقة طويلة العنق ذات السنامين.

(٦) يكن: أي يستر.

(٧) المَدر: أي القرى والأمصار واحدتها مدرة.

(٨) الوبَر: أي البيت المتخذ من صوف الإبل والمراد أهل البادية.

(٩) الزَّلفة: أي المكان يحفر ليحبس فيه ماء السماء، وقيل: المرآة.

(١٠) قحفها: أي قشرها.

(١١) الرِّسل: أي اللبن

(١٢) اللقحة: أي الناقة ذات اللبن قريبة العهد بالولادة.

(١٣) الفئام: الجماعة الكثيرة.

(١٤) الفخذ: حي الرجل إذا كان من أقرب عشيرته

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ(١) فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(٢).

ثم تأتي العلامةُ الرابعةُ من علاماتِ قيامِ الساعةِ الكبرى، وتكون عندما يعُمُّ الفسادُ، وينتشر في الأرض، وهي خُروجُ الدَّابةِ.

وهي مخلوقٌ عظيمٌ، تَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ وتَرْكِهم أَوَامِرَ اللهِ وَتَبْدِيلِهِمُ الدِّينَ الحَقَّ، فَتسمُ المؤمنَ بعلامةٍ وتجلو وجهَهُ حتى يُنيرَ، وتَسمُ الكافرَ بعلامةٍ قيلَ: هي خَطمُ الأنفِ(٣).

ودلَّ على خروجِها قولهُ تعَالَى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل:٨٢].

وما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»(٤).

وما رواه الإمام أحمد بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنِ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ»(٥).

ثم تأتي العلامةُ الرابعةُ الخَامسةُ مِن عَلاماتِ قيامِ السَّاعةِ الكُبرى،

---

(١) يتهارجون: أي يجامعون النساء بحضرة الناس.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢١٠)، وأشراط الساعة، د. عبد الله الغفيلي، صـ (١٥٠-١٥١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٥٨).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٢٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٢٧).

وهي علامة مخيفة رهيبة؛ لأن ظهور هذه العلامة معناه إغلاق باب التوبة ألا وهي طُلوعُ الشَّمسِ من مغرِبِها.

ودلَّ عَلى خروجِها قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وَرَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:١٥٨]»(١).

العلامةُ السَّادِسةُ من علاماتِ قيامِ السَّاعةِ الكُبرَى الدُّخَانُ.

وهو انبعاثُ دُخانٍ عظيمٍ منَ السماءِ يَغشى الناسَ جميعا، ويعمُّهم.

وخروجُه ثابتٌ بالكتابِ، والسُّنةِ، والإجماعِ.

ودلَّ عَلى خروجِهِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان:١٠-١١].

وَمَا رواهُ مسلمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟».

قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ.

قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِهِ الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشَّرفا، وبعد . .

العلامةُ السابعةُ من علاماتِ قيامِ الساعةِ الكُبرَى خَسفٌ بالمشرقِ.

والعلامةُ الثَّامنةُ من علاماتِ قيامِ الساعةِ الكُبرَى خَسفٌ بالمغربِ.

والعلامةُ التَّاسِعَةُ من علاماتِ قيامِ الساعةِ الكُبرَى خسفٌ بجزيرةِ العربِ.

والخسفُ: هو غيابُ الشيءِ في الأرضِ[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [القصص: ٨١].

ودَلَّ على حُدوثِ هذه العلاماتِ الثلاثةِ: ما جاءَ في حديثِ حُذيفةَ بن أَسِيدٍ رضي الله عنه وَفيهِ: «**وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»[2].

وما رواه الطبراني بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ بَعْدِي خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُخْسَفُ بِالْأَرْضِ وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ؟.

قَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ إِذَا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا الخَبَثَ**»[3].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «خسف».

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٥٨٠)، والأوسط (٣٦٤٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١١): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات».

وقد حَدثَ خسفٌ قبل ذلكَ، ولكنْ هذِه الخسوفاتُ الثلاثةُ أعظم قدرًا[١].

ثم تأتي خاتمة علاماتِ قيامِ الساعةِ الكُبرَى، وهي نارٌ تخرجُ من قَعرِ عدَنٍ باليمنِ تسوقُ الناسَ إلى محشرِهِم، وهي آخرُ العلاماتِ العظامِ.

قال العلماءُ: «فأمَّا شرارُ الخلقِ فتخرجُ نارٌ في آخر الزمانِ تسوقُهم إلى الشامِ قهرًا حتى تجمعَ الناسَ كلَّهم بالشامِ قبلَ قيامِ الساعةِ»[٢].

ودلَّ على خروجِهَا ما جاءَ في حديثِ حُذيفةَ بنِ أَسيدٍ ﷺ، وفيهِ: «وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[٣].

وفي روايةٍ: «وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ[٤] تَرْحَلُ النَّاسَ[٥]»[٦].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ[٧] عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ[٨]:

١- رَاغِبِينَ[٩] رَاهِبِينَ[١٠]،

٢- وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ،

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٨٤).

(٢) انظر: لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، صـ (١٣٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

(٤) قعرة عدن: أي أقصى عَدن، وهي مدينة باليمن تسمى عدن أبين.

(٥) ترحل الناس: أي تأخذهم بالرحيل وتزعجهم.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

(٧) يحشر الناس: أي قبيل قيام الساعة يجمع الأحياء إلى بقعة من بقاع الأرض وورد أنها الشام.

(٨) طرائق: أي فرق.

(٩) راغبين: أي بهذا الحشر، وهم السابقون.

(١٠) راهبين: أي خائفين، وهم عامة المؤمنين.

٣- وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ[١]، تَقِيلُ[٢] مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»[٣].

وختاما، فهذه علامات الساعة الكبرى، وهي تبعثُ الخوفَ في النفوس، فلابدَّ أن تستعدَّ لها حقَّ الاستعداد حتى نكونَ أهلا للخير إن أدركنَا هذا الزمان الموحش.

الدعاء...

- اللهم إنا نعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المقامة.
- اللهم إنا نسألك الجنة، ونستجير بك من النار.
- اللهم إنا نسألك الجنة، ونستجير بك من النار.
- اللهم إنا نسألك الجنة، ونستجير بك من النار.
- اللهم فقهنا في الدين.
- اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.
- اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما.
- اللهم اكتبنا من أهل الجنة.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

(١) النار: أي نار الدنيا، وليس نار الآخرة.

(٢) تقيل: أي تقف معهم وسط النهار.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

٢١ - القبر، والبعث، والحشر يوم القيامة

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عن «**القبر، والبعث، والحشر يوم القيامة**».

والله أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلموا أيها الإخوة المُؤمنونَ أنه ممَّا يجبُ علينا الإيمان به:

الإيمانُ بسؤالِ الملكينِ في القبرِ، وهما المنكرُ والنكيرُ، يسألانِ العبدَ ثلاثةَ أسئلةٍ:

١- مَنْ ربُّكَ؟

٢- مَا دينُكَ؟

٣- منِ الرسولُ الَّذِي أُرسلَ إليكَ؟

روى **التِّرمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟.

فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ.

فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي، فَأُخْبِرُهُمْ.

فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي.

فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ.

فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ.

فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ[١] فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ

---

(١) فتختلف: أي تزول عن الهيئة المستوية التي كانت عليها من شدة التئامها عليه وشدة الضغطة.

مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

ويجبُ علينا الإيمانُ بنعيمِ القَبرِ وعذابِهِ النعيمِ لأهلِ الطاعةِ، والعذابِ لمن كان مستحقًّا له من أهلِ المعصيةِ، والفجورِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم:٢٧].

وروَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ**(٢)**، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ**(٣) **حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٤).

وروَى البُخَارِيُّ عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا أُقْعِدَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾** [إبراهيم:٢٧]»(٥).

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ٤٦ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧﴾ [غافر:٤٦-٤٧].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

(٢) بالغداة والعشي: أي في الصباح والمساء.

(٣) مقعدك: أي مكانك.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٥) صحيح: رواه البخاري (١٣٦٩).

قال العلماءُ: «هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي اسْتِدْلَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى عَذَابِ الْبَرْزَخِ فِي الْقُبُورِ»[(١)].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١].

استدلَّ الإمامُ البُخَارِيُّ في صحيحِهِ بهذه الآيةِ، والتي قبلَها على عذابِ القبر[(٢)].

ورَوَى مُسْلِمٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ».

قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[(٣)].

ويجب الإيمانُ ببعثِ الموتى يومَ القيامةِ، وذلك بإحيائِهم، وإخراجِهم من قبورِهم.

فإنَّ اللهَ تعالى يجمعُ أجسادَ المقبورينَ التي تحلَّلت ويعيدُها بقدرتِه كما كانتْ، ثم يعيدُ الأرواحَ إليها، ويسوقُهم إلى محشرِهم؛ لفصلِ القضاءِ[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٢/ ٩٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٤) انظر: أصول الإيمان، صـ (٢١٣).

قالَ اللهُ تَعالى مقرِّرًا للبعثِ بأنَّ القادرَ على الابتداءِ قادرٌ على الإعادةِ منْ بابٍ أوْلى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧].

وقالَ تَعالَى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨].

وقالَ تَعالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن:٧].

وعندمَا قَالَ المعترِضُ على البعثِ: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس:٧٨].

قَالَ تَعالَى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس:٧٩].

ورَوَى البُخَارِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «**إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ المَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ**[١] **مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَوْرُوا**[٢] **نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ**[٣] **إِلَى عَظْمِي، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي**[٤] **فِي اليَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، أَوْ رَاحٍ**[٥]**، فَجَمَعَهُ اللهُ فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتَكَ، فَغَفَرَ لَهُ**»[٦].

---

(١) أيس: أي يأس.

(٢) أوروا: أي أوقدوا.

(٣) خلصت: أي وصلت.

(٤) فذروني: أي فرقوا أعضائي، وألقوها، أو فرقوا رمادي بعد حرقي.

(٥) راح: أي شديد الريح.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٣٤٧٩).

وروَى **البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**».

قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا.

قَالَ: أَبَيْتُ[(١)].

قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً.

قَالَ: أَبَيْتُ.

قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا.

قَالَ: أَبَيْتُ.

قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ**[(٢)]**، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ**[(٣)]»[(٤)].

وروَى **البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي**»[(٥)].

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

---

(١) أبيت: أي أمتنع من تعيين ذلك بالأيام والسنين والشهور؛ لأنه لم يكن عنده علم بذلك.

(٢) عجب ذنبه: هو عظم لطيف في أصل الصُّلب.

(٣) يركَّب الخلق: أي يجعله الله تعالى سببا ظاهرا لإنشاء الخلق مرة أخرى، والله تعالى أعلم بحكمة ذلك.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

فممَّا يجبُ الإيمانُ به في اليوم الآخر الإيمانُ بالحشْرِ، وهو الجمعُ بعد الموتِ؛ للحسابِ والجزاءِ.

وقد دلَّتِ الآياتُ والأحاديثُ على حشرِ العبادِ بعد بعثِهم إلى أرضِ المحشرِ حُفاةً عُراةً غُرلًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم:٤٨].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧﴾ [الكهف:٤٧].

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**(١)».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟!.

قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»(٢).

وَهذا الحشرُ عامٌّ لجميعِ الخلائقِ، وهناكَ حشرٌ آخرُ إما إلى الجنةِ، وإمَّا إلى النارِ.

فيحشرُ المؤمنونَ إلى الجنةِ وفدًا، والوفدُ همُ القائمونَ الرُّكبَانُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم:٨٥].

قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم:٨٥]، قال: «**أَمَا وَاللهِ مَا يُحْشَرُ الْوَفْدُ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَلَا يُسَاقُونَ سَوْقًا، وَلَكِنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ بِنُوقٍ لَمْ يَرَ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا، عَلَيْهَا رِحَالُ الذَّهَبِ، وَأَزِمَّتُهَا الزَّبَرْجَدُ، فَيَرْكَبُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَضْرِبُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) غُرلا: أي غير مختونين.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٤).

وأما الكفارُ فإنهم يُحشرونَ إلى النارِ على وجوهِهم عُميًا، وبُكمًا، وصُمًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان:٣٤].

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟.

قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟!».

قَالَ قَتَادَةُ: «بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا»(١).

فهذا هو حوض نبينا ﷺ، وتلك صفته، ونحن في زمن العمل، فلنجتهد حتى نشرب منه شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا ولا نذاد عنه.

الدعاء...

- اللهم إنا نسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا.
- اللهم إنا نسألك يا الله بأنك الواحد الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، أن تغفر لنا ذنوبنا، إنك أنت الغفور الرحيم.
- اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنان يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار.
- اللهم حرِّم وجوهَنا على النار.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

- اللهم ارزقنا العمل بما نعلم.
- اللهم آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنَا عذابَ النارِ.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٢٢ - الحوض، والميزان يوم القيامة

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عن «**الحوض والميزان يوم القيامة**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

ممَّا يجب علينا الإيمانُ بهِ في القيامةِ الإيمانُ بالحوضِ، وهو مورد

عظيمٌ أعطاهُ الله لنبيِّنا محمدٍ ﷺ في المحشرِ يَرِدُه هو وأمَّتُهُ ﷺ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي(١) كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ(٢) وَصَنْعَاءَ(٣) مِنَ اليَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ(٤) كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»(٥).

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»(٦).

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ أَنسٍ ، أنَّ الرَّسولَ ﷺ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً(٧)، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»(٨).

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ(٩)»(١٠).

والحوضُ يكونُ في أرضِ المحشرِ ويستمدُّ ماءَه من الكوثرِ، وهو نهرٌ آخرُ أعطاهُ اللهُ لنبيِّنا ﷺ في الجنةِ.

---

(١) قدر حوضي: أي طول شاطئه.

(٢) أيلة: مدينة من مدن الأردن.

(٣) صنعاء: البلد المعروف في اليمن.

(٤) الأباريق: جمع إبريق، وهو إناء يشرب فيه.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٧) أثرة: أي يفضل عليكم غيركم في الأموال. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ٢٣٢)].

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٠٦١).

(٩) أنا فرطكم على الحوض: أي متقدمكم إليه. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٣٤)].

(١٠) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١].

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سُئلت عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١].

قَالَتْ: «نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ»[(١)].

ويُذَادُ عن الحوض مَنْ بَدَّلَ، وغَيَّرَ دينَ اللهِ كما يَذود الساقي الناقة الغريبة عن إبله إذا أرادت الشرب مع إبله[(٢)].

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ»[(٣)].

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّى عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا[(٤)] دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[(٥)].

قال العلماءُ: «هؤلاء صنفان:

أحدهما: عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام، وهؤلاء مبدِّلون للأعمال الصالحة بالسيئة.

والثاني: مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم.

واسم التبديل يشمل الصنفين»[(٦)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٦٥)، ومسلم (٤٠٠).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ٦٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٢).

(٤) اختلجوا: أي اقتطعوا. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ٦٤)].

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ٦٤-٦٥).

وممَّا يجب الإيمانُ به في القيامةِ الإيمانُ بالميزانِ، وهو ميزانٌ حقيقيٌّ له لسانٌ وكِفَّتانِ، توزنُ فيه أعمالُ العبادِ فيرجَّحُ بمثقالِ ذرةٍ من خيرٍ أو شرٍّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة:٦-٩].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة(١).

قوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي الذين فازوا فنجوا من النار، وأُدْخلوا الجنة(٢).

وروَى الإِمَامُ أَحمدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ(٣)، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**».

قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ.

فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(١).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٩٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٩٦).

(٣) تكفؤه: أي تميله.

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»(٢).

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «المِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ، وَكِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ الحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ، فَيُؤْتَى بِالحَسَنَاتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ المِيزَانِ، فَتَثْقُلُ عَلَى السَّيِّئَاتِ»(٣).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِهِ الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

فإن الميزانَ يومَ القيامةِ يوزنُ فيهِ ثلاثةُ أشياءَ:

الأول: الأعمالُ التي فعلها الإنسانُ سواءٌ كانت صالحةً أو سيئةً، فإنَّها تُجَسَّمُ، وتوزنُ، كالصلاةِ، والزكاةِ، والصومِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنهي عنِ المنكرِ، والتسبيحِ، وغيرِها من الأعمالِ الصالحةِ، والكذبِ، والغيبةِ، والنَّميمةِ، والسرقةِ، والنظرِ إلى النساءِ الأجنبياتِ، وغيرِها من الأعمالِ السيئةِ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٩٩١)، وصححه الألباني (٣١٩٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (١/ ٤٤٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

وروى **مُسْلِمٌ** عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الكِلَابِيِّ ﷺ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالقُرْآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ**»(١).

وروى **أَبُو دَاودَ** بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ**»(٢).

الثاني: صحائف الأعمال التي فعلها الإنسانُ سواءٌ كانت صالحةً أو سيئةً.

رَوَى **التِّرْمِذِيُّ** بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟.**

فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟.

فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ.

فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ.

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ.

فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ.

فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٢٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٩)، وأحمد (٢٧٥١٧)، وصححه الألباني.

البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[١].

الثالث: العبدُ نَفسُهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥].

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بِسنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟».

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ.

فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[٢]، أي من جبلِ أُحُدٍ.

وَرَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ[٣] السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ».

وَقَالَ: «اقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥]»[٤].

قال العلماء: تارة توزن الأعمالُ، وتارة توزن الصحفُ، وتارة يوزن فاعلُها[٥].

الدعاء...

- اللهم إنا نسألك بأنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لنا، وترحمنا.
- ربنا اغفر لنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الغفور.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٩٩١)، وأحمد (٦٩٩٤)، وصححه أحمد شاكر، والألباني (٣١٩٢).

(٣) العظيم: أي في الجسم، وليس في الأعمال الصالحة. [انظر: مرقاة المفاتيح، للقاري (٨/ ٣٥٢٠)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٠).

- اللهم ثبِّت قلوبَنا على الإيمان.
- اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحينا ما علمت الحياة خيرا لنا، وتوفنا إذا علمت الوفاة خيرا لنا.
- اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، ونسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك نعيما لا ينفد، ونسألك قرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك بَرْد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

أقولُ قولي هذا، وأقِمِ الصلاةَ..

❑ ❑ ❑

٢٣ـ الشفاعة في القيامة

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عنْ موضوع بعنوان: «**الشفاعة في القيامة**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنَّ اللهَ تعالى بكرمِه يأذنُ يومَ القيامةِ للصالحينَ من خلقِه من الملائكةِ والمرسلينَ والمؤمنينَ أن يشفَعوا عندَه في بعضِ أصحابِ الذنوبِ من أهلِ التوحيدِ إظهارًا لكرامةِ الشافعينَ عندَه، ورحمةً بالمشفوعِ فيهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم:٢٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء:٢٨].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ١٠٩﴾ [طه:١٠٩].

ورَوَى مُسْلِمٌ عنْ أَبي سَعيدٍ الخدريِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»(١).

وأعظم شفاعةٍ يوم القيامةِ هيَ الشفاعةُ العُظمى، وهي خاصة بالنبي ﷺ، فيشفعُ ﷺ في أهلِ الموقفِ أنْ يقضيَ اللهُ بينهم، وهي المقامُ المحمودُ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ(٢) مِنْهَا نَهْسَةً، فقَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

(٢) فنهس: أي قبض على اللحم وانتزعه بمقدم الأسنان.

يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ(١)، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ، وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ.

فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟

فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام.

فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عز وجل قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ

---

(١) يَنْفُذُهُمُ البَصَرُ: أي ينفذهم بصر الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٩١)].

بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ الله، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ الله، وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟.

فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي.

ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي.

فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ.

فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ.

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ(١) مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى -»(٢).

ويشفعُ رسولُنا ﷺ في أقوامٍ أن يدخُلوا الجنةَ بغيرِ حسابٍ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ، يَرْفَعُ نَمِرَةً(٣) عَلَيْهِ، قَالَ: ادْعُ اللهَ لِي يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ.

فَقَالَ: «اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ».

ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ»(٤).

ويشفعُ النبيُّ ﷺ في تخفيفِ العذابِ عمَّن كانَ يستحقُّه، كشفاعتِه ﷺ في عمِّهِ أبي طالبٍ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ(٥) وَيَغْضَبُ لَكَ؟.

قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ(١) مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(٢).

---

(١) مصراعين: المصراعان هما جانبا الباب. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٣/ ٦٩)].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٣).

(٣) نمرة: أي كساء فيه خطوط بيض وسود وحمر، كأنها أخذت من جلد النَّمِر؛ لاشتراكهما في التلون، وهي من مآزر العرب.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦).

(٥) يحوطك: أي يصونك، ويدافع عنك.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»[٣].

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

فإنَّ النبيَّ ﷺ يشفعُ في أهلِ الجنةِ أن يُؤذنَ لهم بدخولِ الجنة.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وحُذَيْفَةَ رضي الله عنهما، قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ[٤] لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ.

فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله.

فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ[٥]، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا.

فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ الله وَرُوحِهِ.

---

(١) ضحضاح: أي خُفِّف عنه شيء من العذاب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

(٤) تزلف: أي تقرب.

(٥) من وراء وراء: هي كلمة يقولها من يريد التواضع.

فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ».

قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟.

قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ(١) فِي النَّارِ»(٢).

ويشفعُ النبيُّ ﷺ في أهلِ الكبائرِ من أمَّتِهِ ممَّنْ دخلَ النارَ أن يَخرجَ منها، وهذه الشفاعة عامة للملائكة، والأنبياء، والمؤمنين.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ»(٣).

ورَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٤).

ولا تثبتُ الشفاعةُ لأحد يومَ القيامةِ إلَّا إذا تحقَّق أمرانِ:

الأول: أن يأذنَ الله ﷻ للشافعِ أنْ يَشفعَ.

---

(١) مكدوس: أي مدفوع من الخلف؛ ليسقط في نار جهنم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٦٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢)، وصححه الألباني.

لقولِ الله تَعَالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقَولِهِ تَعَالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣].

الثاني: أن يرضى الله ﷻ عنِ المشفوعِ لهُ أنْ يُشفعَ فيهِ.

لقولِ الله تَعَالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وقَولِهِ تَعَالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَـٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم:٢٦].

ولا تكون الشفاعةُ إلَّا في أهلِ التوحيدِ، أما الكفارُ فلا يرضى اللهُ أنْ يُشفعَ فيهم.

لقولِ الله تَعَالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثر:٤٨].

رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[1].

وأخيرا، فهل من مشمِّرٍ عن ساعد الجِدِّ؛ لينال شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة؟

الدعاء...

- اللهم ارزقنا حبك، وحب من ينفعنا حبه عندك.
- اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله قوة لنا فيما تحب.
- اللهم ما زَوَيت عنا مما نحب فاجعله فراغا لنا فيما تحب.
- اللهم طهِّرنا من الذنوب والخطايا.
- اللهم نقنا منها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.
- اللهم طهرنا بالثلج والبرد والماء البارد.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩٩).

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٢٤ - الصراطُ، والجنة، والنار

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عن «**الصراط، والجنة، والنار**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنه يجب علينا أن نؤمن ونصدِّق بالصراطِ يوم القيامةِ.

والصراطُ: هو جسرٌ ممدودٌ على متنِ جهنمَ يمرُّ عليه المؤمنونَ إلى جناتِ النعيمِ، والمجرمونَ إلى جهنَّمَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

قال العلماء: «والأظهرُ والأقوى أنه المرورُ على الصِّراطِ»(١).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٢-١٥].

وروَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟».

قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ، أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾﴾

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٠٦).

[الحاقة: ١٩]حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»(١).

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه: «بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»(٢).

ويَجُوزُ العبادُ الصراطَ بِقَدْرِ أعمالِهم، فمنهم من يجوزه كالطرْفِ، ومنهم من يجوزه كالبرقِ، وكالريحِ، وكأجاويدِ الخيلِ والركاب.

رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «يُؤْتَى بِالجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الجَسْرُ؟.

قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ(٣)، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ(٤) مُفَلْطَحَةٌ(٥) لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ(٦)، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ(٧)، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ(٨) فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»(٩).

والذين ينجون من الصراط يتفاوتونَ في سرعةِ المرورِ عليه؛ كما في حديثِ أبي

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٥)، والترمذي (٢٢٣٥)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

(٣) مدحضة مزلة: أي تزلق فيه الأقدام، والمزلة: مفعلة من زل يزل إذا زلق. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٠)، وفتح الباري (١١/ ٤٥٤)].

(٤) حسكة: هي شوكة صلبة معروفة. [انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٨٦)].

(٥) مفلطحة: المفلطح: الذي فيه عرض واتساع. [انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٧١)].

(٦) عقيفاء: هي حديدة قد لوي طرفها، وفيها انحناء. [انظر: القاموس المحيط، مادة «عقف»].

(٧) كالطرف: أي كلمح البصر. [انظر: عمدة القاري، للعيني (٢٥/ ١٣٠)].

(٨) مكدوس: أي مدفوع. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٥٥)].

(٩) صحيح: رواه البخاري (٧٤٣٩).

سعيدٍ رضي الله عنه.

وروى مُسْلِمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «تُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالبَرْقِ».

قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ؟.

قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ(١)، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ(٢) فِي النَّارِ»(٣).

ومما يجبُ اعتقادُه والإيمانُ بِهِ، والإقرارُ به إقرارًا جازمًا في القيامةِ الجنةُ، جعلنا اللهُ وإياكم من أهلِهَا.

والجنةُ: هي دارُ الثوابِ لمن أطاعَ اللهَ وموضعُها في السماءِ السابعةِ عندَ سدرةِ المنتَهى، فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم:١٣-١٥].

ويجب أن نعتقد أن الجنة موجودة الآن.

لقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣].

---

(١) شد الرجال: أي جري الرجال.

(٢) مكدوس: أي مدفوع، وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٥).

وقول الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الحديد: ٢١].

وروَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»(١).

ولا يدخلُ الجنة إلا مؤمنٌ.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عنْ عليٍّ ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ»(٢).

ومن دخل الجنةَ، فلا يخرجُ منها أبدًا، ولا يموتُ فيها.

لقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هود: ١٠٨].

وقول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وروَى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٠٩٢)، والنسائي (٢٩٥٨)، وأحمد (٥٩٤)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٤٥).

والجنة فيها مالا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمِعتْ، ولا خطرَ على قلب بشرٍ.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد:٣٥].

والجنةُ مائةُ درجةٍ بين كلِّ درجةٍ والأُخْرى كما بين السماءِ والأرضِ، وأعْلى الجنةِ الفردوسُ الأعلى، وفوقَهُ العرشُ، ومنهُ تتفجَّرُ أنهارُ الجنةِ

رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِالله وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟.

قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»(١).

وللجنةِ ثمانيةُ أبوابٍ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ»(٢).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٧)، واللفظ له، ومسلم (١١٥٢).

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

فمما يجبُ اعتقادُه والإيمانُ به، والإقرارُ به إقرارًا جازمًا في القيامةِ النارُ عياذًا بالله منها.

والنارُ: هي دارُ العقابِ الأبديِّ للكافرينَ والمشركينَ والمنافقينَ النفاقَ الاعتقاديَّ، ولمن شاء اللهُ من عصاةِ الموحِّدين بقدرِ ذنوبِهم ثم مآلهم إلى الجنةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

ويجب أن نعتقد أن النارَ موجودة الآن.

لقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقول الله تعالى: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ١١﴾ [الفرقان: ١١].

وقدِ اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن[1].

وموضعُ النارِ في الأرضِ السابعةِ.

وللنارِ دَركَاتٌ بعضُها أسفلُ من بعضٍ، وأسفلُ هذه الدَركاتِ هي دارُ المنافقينَ.

كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء:١٤٥].

والنار هي مأوى الكفار، والمنافقين، ومن شاء الله من عصاة المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦١٤).

سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥].

ومن دخل النار من الكفار، والمنافقين النفاق الاعتقادي، لا يخرج منها أبدا، ولا يموت فيها.

لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢].

وقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:١٠٦-١٠٧].

وقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [التغابن:١٠].

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عن عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ ﷺ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ

فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ»[(١)].

وللنارِ سَبعةُ أبوابٍ.

كما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحِجر: ٤٤].

ونارُ الدُّنيا جُزءٌ من سبعينَ جُزءًا من نارِ جهنمَ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ الله إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً.

قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»[(٢)].

الدعاء...

- اللهم إنا نعوذ بك من البخل، والجبن، وسوء العُمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر.
- اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، ورب إسرافيل، نعوذ بك من حر النار، ومن عذاب القبر.
- اللهم ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شر نفوسنا.
- اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنا سيئاتنا.
- اللهم ثبتْ قلوبنا على دينكَ.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

٢٥ - الإِيمانُ بالقَضَاءِ، والقدَرِ

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عن «**الإيمان بالقضاءِ والقدرِ**».

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنَّ القضاءَ والقدرَ ركنٌ من أركانِ الإيمانِ، وأصلٌ من أصولِهِ يجبُ الإيمانُ بهِ.

قال اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩].

وقال اللهُ تعَالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب:٣٨].

وقال اللهُ تعَالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:٢].

وروَى مُسْلِمٌ عنْ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

وروَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»(٢).

والقضاء: هو ما قَضى بهِ اللهُ ﷻ في خلقِه من إيجادٍ، أو إعدامٍ، أو تغييرٍ.

والقدرُ: هو مَا قدَّره اللهُ تَعالى في الأزل أن يكونَ في خلقِه بِناءً على علمِهِ السابقِ بذلكَ.

ولا يتحققُ إيمانُ عبدٍ بالقدرِ حتَّى يؤمنَ بمراتبِ القدرِ الأربعةِ، وهي:

المرتبة الأولى: العلمُ، ومعناها أنَّ اللهَ علِمَ كلَّ شيءٍ من الموجودَاتِ، والمعدوماتِ، والممكناتِ، والمستحيلاتِ، وأحاطَ بذلك علمًا فعَلِم ما كانَ، وما يكونُ، وما لم يكنْ لو كانَ كيفَ يكونُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(١).

المرتبةُ الثانيةُ: الكتابةُ، ومعناها أنَّ اللهَ تعالى كتبَ كلَّ شيءٍ في اللوحِ المحفوظِ مما هو كائنٌ إلى قيامِ الساعةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وقَالَ تعَالَى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

وروَى أَبُو داودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﵁، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ.

قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟.

قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٢).

المرتبةُ الثالثةُ: المشيئةُ، ومعناها أنَّ ما شاءَ اللهُ كان وما لم يَشأْ لم يكُنْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وقَالَ تعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٥٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ**»(١).

المرتبةُ الرابعةُ: الخَلْقُ، ومعناها أنَّ اللهَ تعالى خلقَ الأشياءَ كلَّها، وأوجدَها بقدرتِه الكاملةِ على ذلك فهو ﷻ خالقٌ لكلِّ عاملٍ وعملِه، وكلِّ متحرِّكٍ وحركتِه، وكلِّ ساكنٍ وسكونِه.

قَالَ تَعالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزُّمَر:٦٢].

وقَالَ تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات:٩٦].

ورَوَى البُخَارِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ**(٢) **كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»(٣).

ولا يتحقق إيمانُ عبدٍ بمرتبتي الكتابةِ، والعِلمِ حتى يؤمن بالتقادير الخمسةِ، وهذِه التقاديرُ كالتَّفصيلِ منَ التقديرِ الأزليِّ الَّذِي أمرَ اللهُ تعالى القلمَ عندمَا خلقَه أنْ يكتبَه في اللوحِ المحفوظِ.

وهذه التقادير الخمسة هي:

الأول: التَّقدِيرُ الأَزليُّ، ومعناه كتابةُ مقاديرِ الخَلْقِ قبلَ خلْقِ السماواتِ والأرضِ بخمسينَ ألفَ سنةٍ، عندما خلقَ اللهُ القلمَ.

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) الذِّكر: أي اللوح المحفوظ.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣١٩١).

قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ [الحديد: ٢٢].

وروى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»(١).

وروى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٢).

الثاني: تقدِيرُ الميثاقِ، ومعناه التقديرُ عِندَ الميثاقِ الَّذِي أخذَه اللهُ على عبادِه، وهم في ظهرِ أبيهم آدمَ عليه السلام.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ(٣) هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا(٤) مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟.

قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ.

فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟.

فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ.

فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

(٣) نسمة: أي نفس، أو روح. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٤٩)].

(٤) وبيصا: أي بريقا. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٤٦)].

قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً.

فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟.

قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟.

فَجَحَدَ آدَمُ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِّيَ آدَمُ، فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ، فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ»(١).

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟.

فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»(٢).

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشُّرفا، وبعد..

الثالثُ من التقاديرِ المُتعلقةِ بمَرتبتي الكِتابةِ والعلمِ: التَّقدِيرُ العُمريُّ، ومعناه ما قدره اللهُ على الإنسان عند كونه نطفةً في رحم أمه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

وَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ ﷺ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني في المشكاة (١١٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ.

وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ.

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

الرابع: التَّقدِيرُ الحوليُّ، ومعناه ما قدرَّه اللهُ على الخلائق في ليلةِ القدْرِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان: ٤-٥].

وروى الطبري بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «يُقْضَى وَيُفْصَلُ كُلُّ أَمْرٍ أَحْكَمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ السَّنَةِ الْأُخْرَى»(٢).

وقال سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «يُؤذَنُ للحُجَّاجِ في لَيلةِ القَدْرِ، فَيُكْتبونَ بأَسْمائِهِمْ، وأَسماءِ آبائِهِمْ، فلا يُغَادَرُ مِنهُم أحدٌ، ولا يزادُ فِيهمْ، وَلا يُنقَصُ مِنهُمْ»(٣).

الخامس: التَّقدِيرُ اليَومِيُّ، ومعناه تنفيذُ كلِّ تقديرِ من التقاديرِ السابقةِ إلى موضعِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ في تفسير هذه الآيةِ: «يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيَرْفَعُ قَوْمًا،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) صحيح: رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١١)، والطبراني في الكبير (١٠٥٩٥)، والحاكم في المستدرك (٣٦٧٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (٣٣٨٨)، والضياء المقدسي في المختارة (٢٤٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٢).

وَيَضَعُ آخَرِينَ»(١).

وروى الطبري بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ لَوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ، دَفَّتَاهُ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ، قَلَمُهُ نُورٌ، وَكِتَابُهُ نُورٌ، عَرْضُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، يَنْظُرُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسِتِّينَ نَظْرَةً، يَخْلُقُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»(٢).

الدعاء...

- اللهم إنا نسألك علما نافعا، ونعوذ بك من علم لا ينفع.
- اللهم رب السموات السبع ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، نعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته.
- اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّين وأغننا من الفقر.
- اللهم ثبت قلوبنا على دينك.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

---

(١) صحيح: رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم (٦/ ١٤٤).

(٢) حسن: رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٠)، والطبراني في الكبير (١٠٦٠٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢/ ٦٢١)، وابن بطة في الإبانة (٩٥)، والحاكم في المستدرك (٣٧٧١)، وصححه، واللالكائي في أصول الاعتقاد (١٢٢٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠٠٤)، والضياء المقدسي في المختارة (٦٣)، والأصبهاني في الحلية (١/ ٣٢٥).

٢٦ - الشيعة همُ العدوُّ[١]

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ عن «**الشيعة همُ العدوُّ**».

وسوف ينتظم حديثنا معكم حول محورين:

المحور الأول: من همُ الشيعةُ؟

المحور الثاني: ما هيَ أفكارُهم الضَّالةُ ومعتقدَاتُهم المنحَرِفةُ؟

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذين

هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

المحور الأول: من همُ الشيعةُ؟

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أنَّ اسمَ الشيعة أُطلق في بَادِئ الأمرِ على المناصرينَ والمؤيدينَ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ، ثم تميَّز به من فضَّل إمامةَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ وبَنِيهِ على عثمانَ ﷺ، ومن بعدَه من الأئمةِ، مع تفضيلِهم إمامةَ أبي بكرٍ الصديق، وعمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنهما، وفي وقتِها لم يكنِ الخلافُ دِينيًّا، ولا النزاعُ قَبليًّا، فكانَ أبناءُ عليٍّ ﷺ يتعاونونَ مع الحكَّامِ ويصلُّون خلفَهُم؛ إلى أن جاءَ ابنُ سبَأٍ اليهوديُّ فأجَّجَ نارَ الفتنةِ بينَ المسلمينَ، ووضعَ لهم عقائدَ باطلةً كعصمةِ الأئمةِ، فأصبحتِ الشيعةُ بذلكَ مأوًى ومَلجأً لكلِّ من أرادَ هدمَ الإسلامَ لعداوةٍ أو حِقدٍ، أو لكلِّ من يريدُ إدخالَ تعاليمِ آبائِه من يهوديةٍ أو نصرانيَّةٍ(١).

والشيعةُ فرقةٌ ضالةٌ منحرفةٌ عن الحقِّ خالفتْ ما أجمعَ عليه المسلمونَ من عقائدَ وأحكامٍ؛ فزعمُوا أن عليًّا هو الأحقُّ في وراثةِ الخلافةِ دونَ أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ ﷺ، وقد أُطْلِقَ عليهِمُ الإماميةُ؛ لأنَّهم جعلُوا من الإمامةِ القضيةَ الأساسيةَ التي تشغلُهُم، وسُمُّوا بالاثنى عشريَّةِ؛ لأنهم قالوا باثني عشرَ إمامًا دخلَ آخرُهم السردابَ بسامراءَ على حدِّ زعمِهم.

كما أنَّهم القسمُ المقابلُ لأهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في فكرِهم وآرائِهم المتميزةِ، وهمْ يعملونَ لنشرِ مذهبِهم ليَعُمَّ العالمَ الإسلاميَّ(٢).

المحور الثاني: ما هيَ أفكارُهُم الضَّالةُ ومعتقدَاتُهم المنحَرِفةُ؟

من أفكار، ومعتقداتِ الشيعةِ الضَّالَةِ وَالمنحَرفةِ أنهم يَقولونَ: إن القرآنَ

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ١٠٨٤) بتصرف.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة (١/ ٥١).

الكريمَ ناقصٌ.

كما رَوَى أحدُ أئمتِهم عن جعفرِ الصادقِ: «وإن عندنَا لمصحفُ فاطمةَ عليها السلامُ.

قلتُ: وما مصحفُ فاطمةَ؟.

قال: مصحفٌ فيهِ مثلُ قرآنِكم هذا ثلاثَ مراتٍ، واللهِ ما فيه حرفٌ واحدٌ من قرآنِكم»(١).

وهذا تكذيبٌ لقولِه تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحِجر:٩].

وقد كفَّر العلماءُ من أنكرَ حرفًا من القرآنِ مجمعًا عليهِ.

قالَ عليٌّ، وعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنْهما: «مَن كفَرَ بحرفٍ من القرآنِ فقدْ كفرَ به كلِّه»(٢).

ولكنْ أهلُ السُّنةِ يؤمنونَ بأنَّ القرآنَ الكريمَ محفوظٌ بحفظِ اللهِ له.

قالَ تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحِجر:٩].

أي وإنا للقرآنِ لحافظونَ من أنْ يُزادَ فيه باطلٌ ما ليسَ منه، أو ينُقصَ منه ما هو منْه من أحكامِه، وحدودِه، وفرائضِه(٣).

ومن أفكارهِم ومعتقداتِهم الضَّالَّةِ وَالمنحَرفةِ أنهم يرمُون السيدةَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زوجَ النبيِّ ﷺ بالزِّنا.

والزنا حرامٌ ومن الكبائرِ العظامِ، بدليلِ قولِ اللهِ تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ

(١) انظر: الكافي للكُلَيني، تحقيق: المجلسي، والبهبودي هدية الدمشقية (١/ ٤١٨).

(٢) انظر: ذم الكلام، للهروي (٢/ ٢٠)، ولمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي، صـ(٢١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٧).

كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء:٣٢][(١)].

ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الله بن مسعودٍ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله؟

قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**».

قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ.

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ ؟.

قَالَ: «**وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**».

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ ؟.

قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**[(٢)]»[(٣)].

أما أهلُ السنةِ فيؤمنونَ بأنَّها الطاهرةُ المطهَّرةُ التي برَّأها اللهُ في سورةِ النورِ مما رمَاها بِهِ المنافقونَ.

كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [النور:١١].

قَال الإمامُ الطبريُّ في تفسيرِ الآيةِ: إن الذينَ جاءوا بالكذبِ والبهتانِ ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾ أي جماعةٌ منكم أيها الناسُ.

﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ أي لا تظنُّوا ما جاءوا بِهِ من الإفكِ شرًّا لكُم عندَ الله وعندَ الناسِ، بل ذلكَ خيرٌ لكمْ عندَه وعندَ المؤمنينَ، وذلكَ أنَّ اللهَ

---

(١) انظر: الكافي، لابن قدامة (٥/ ٣٧٥-٣٧٦).

(٢) أن تزاني حليلة جارك: أي تفعل معها الزنا برضاها، وحليلة الجار هي زوجته.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

يجعلُ ذلك كفارةً للمرمِيِّ به، ويُظْهِر براءَته مما رُمِي به، ويجعلُ له منهُ مخرجًا.

وقولُه تَعَالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ أي لكلِّ امرئٍ من الذينَ جاءُوا بالإفكِ جزاءَ ما اجترَمَ من الإثمِ.

وقولُه تَعَالى: ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي الذي تحمَّل معظمَ ذلكَ الإثمِ والإفكِ منهُم هو الذي بدأَ بالخوضِ فيهِ.

وقولُه تعالى: ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي لهُ من الله عذابٌ عظيمٌ يومَ القيامةِ[1].

ومن أفكارهِم ومعتقداتِهم الضَّالَّةِ وَالمنحَرفةِ أنهم يعتقدونَ بالتَّقيَّةِ، وهيَ أنْهم يُظْهِرون خلافَ ما يُبطِنونَ لمخالِفيهم.

وذلك خوفًا من وقوعِ ضررٍ هالكٍ، فيُظْهرُ الشيعيُّ للمخالفِ الَّلينَ من الكلامِ والموهِمَ بالمحبةِ، ويُضْمِرُ في قلبِه الشرَّ، والعداوةَ[2].

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وَسَلامًا على عبدِه الذي اصطفى، وآلِه المستكملين الشُّرفا، وبعد..

ومن أفكارهِم ومعتقداتِهم الضَّالَّةِ وَالمنحَرفةِ أنهم يسبونَ، ويقدحونَ في أصحابِ النبيِّ ﷺ إلا عليًّا وأبناءَه.

وهذا مخالِفٌ للقرآنِ الكريمِ؛ لِذا قالَ العلماءُ من سبَّ أصحابَ الرسولِ ﷺ فقد كفرَ؛ لأنَّ اللهَ أخبرنا أنه رضيَ عنهُم أجمعينَ.

قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١١٥-١١٧).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠١٧).

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]

وقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ٨-١٠].

أمَّا أهلُ السُّنةِ فيتقرَّبون إلى اللهِ بحبِّ الصحابةِ، وآلِ البيتِ جميعًا ﷺ.

فيُحبُّونَ أصحابَ النبيِّ ﷺ، وآلَ بيتِه جميعًا؛ لأجلِ أنْ يقرِّبهم ذلكَ إلى الله ﷻ فيدخلُهم الجنَّة؛ والصحابةُ هم الذينَ لقوا النبيَّ ﷺ مؤمنينَ به وماتُوا على ذلك.

وأهلُ السنةِ: همُ الذينَ يتبعونَ سنةَ الحبيبِ المصطفى ﷺ، ويفهَمونَها بفَهْمِ أصحابِه ﷺ.

وآلُ بيتِ النبيِّ ﷺ: هم بنو هاشمٍ، وبنو المطلبِ، وأزواجُه، وبناتُه ﷺ.

فأهلُ السُّنةِ يحبُّون الصحابةَ وآلَ بيتِ النبيِّ ﷺ؛ لأنَّ اللهَ رضي عنهم.

قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]

ولأنَّ اللهَ أخبرنَا أنَّ من صفاتِ المؤمنينَ الصادقينَ الذينَ سيأتونَ بعدَ الصحابةِ ﷺ أنهم يدْعونَ للصحابةِ ﷺ، ولا يكونُ في صدورِهم غلٌّ أو حقدٌ تجاهُهُم.

قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

ولأنَّ رسولَنا الكريمَ ﷺ نهانا عن سبِّهم والقدحِ فيهم.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»(١).

وروى ابنُ أَبِي شَيبَةَ بِسندٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله، وَالمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(٢)»(٣).

ولأنَّ رسولَنا العظيمَ ﷺ أخبرنَا أنَّهم خيرُ أمتِه وأفضلُهم.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(٤).

ولأنَّهم همُ الذينَ حفظوا لنا سنةَ نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ العِشَاءَ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) هذا وعيد شديد لمن ارتكب هذا، ومعناه: أن الله تعالى يلعنه، وكذا يلعنه الملائكة، والناس أجمعون، وهذا مبالغة في إبعاده عن رحمة الله تعالى، فإن اللعن في اللغة هو الطرد، والإبعاد، والمراد باللعن هنا العذاب الذي يستحقه على ذنبه والطرد عن الجنة أول الأمر، وليست هي كلعنة الكفار الذين يبعدون من رحمة الله تعالى كل الإبعاد. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٩/ ١٤١)].

(٣) حسن: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤١٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٢)، عن عطاء مرسلا، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٤٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣).

فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ.

قَالَ «أَحْسَنْتُمْ».

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ(١)، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي(٢)، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ(٣)، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»(٤).

ولأنَّ اللهَ ﷻ أخبرنَا أنَّه أذهبَ عن أهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ السوءَ، والفحشاءَ، وطهَّرهم من الدَّنَس الذي يكونُ في أهلِ معاصي الله.

قَالَ تَعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣].

فهؤلاء هم الشيعة، وتلك هي بعض معتقداتهم، ذكرتُها لكم من باب: عرَفتُ الشرَّ لا للشر، لكن لتوقيه، ومن لم يعرف الشر من الخير وقع فيه.

الدعاء...

(١) أَمَنة للسماء: الأمنة والأمن، والأمان بمعنى واحد، ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية، فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم، وتناثرت في القيامة، وهنت السماء، فانفطرت، وانشقت وذهبت.

(٢) وأنا أمنة لأصحابي: أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحا، وقد وقع كل ذلك.

(٣) فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون: معناه من ظهور البدع والحوادث في الدِّين والفتن فيه، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك، وهذه كلها من معجزات النبي ﷺ.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣١).

- اللهم أَلِّف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام.
- اللهم نجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- اللهم بارك لنا في أسماعنا، وأبصارنا، وقلوبنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
- اللهم اجعلنا شاكرين لنعمك مُثْنين بها عليك، قابلين لها، وأتممها علينا.
- اللهم قنا الفتن ما ظهر منها، وما بطن.
- اللهم ارزقنا الصدق في القول والعمل.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑

٢٧ - الشيعة همُ العدوُّ [٢]

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ.

حَدِيثُنَا معَ حضراتِكم في هذه الدقائقِ المعدوداتِ لا يزال موصولا عن **«الشيعة همُ العدوُّ»**.

واللهَ أسألُ أن يجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القولَ، فَيتبعونَ أَحسنَهُ، أُولئك الذينَ هداهمُ اللهُ، وأولئك هم أُولو الألبابِ.

من أفكار الشيعةِ، ومعتقداتِهم الضَّالَّةِ وَالمنحَرفةِ أنهم يتبرَّؤونَ من الخلفاءِ

الراشدينَ: أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ ﷺ، ولا يُوالونَ، ولا يحبونَ ولا يناصرونَ إلا الخليفةَ الراشدَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ.

وقدْ أمرنَا الرسولُ ﷺ باتباعِ سنَّتِهم وطريقتِهم؛ لأنَّهم خيرُ صحابتِه ﷺ.

رَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[١].

أما أبُو بكرٍ الصديقُ ﷺ فهو خليفةُ رسولِ الله ﷺ، وأفضلُ الأمةِ بعدَ النبيِّ ﷺ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: «**كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ**»[٢].

وأبو بكرٍ هو خليلُ رسولِ الله ﷺ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[٣].

وهو أحبُّ الناسِ إليهِ ﷺ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟.

قَالَ: «**عَائِشَةُ**».

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٦٩٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٥٣٢).

فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟.

فَقَالَ: «أَبُوهَا».

قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟.

قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»(١).

وهو أحدُ منْ بشَّرَهُم النبيُّ ﷺ بدخولِ الجنَّةِ.

رَوَى أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «عَشْرَةٌ فِي الجَنَّةِ النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ».

وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ العَاشِرَ.

فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟.

فَسَكَتَ، فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟.

فَقَالَ: «هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ»(٢).

وفي أبي بكرٍ رضي الله عنه نزلَ قولُهُ تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧-٢١](٣).

وأما عُمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه فهو ثاني خليفةٍ للمسلمينَ، وأحبُّ الناسِ وأفضلُهُم في الإسلامِ بعدَ أبي بكرٍ رضي الله عنه، وهو أحدُ من بشَّرَهم النبيُّ ﷺ بدخولِ الجنةِ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وصححه، وابن ماجه (١٣٣)، النسائي في الكبرى (٨١٣٧)، وصححه الألباني.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٩).

وقد رَأى النبيُّ ﷺ قصرَه في الجنةِ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟.

فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ.

وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟.

فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ».

فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟[1].

ولم يستطعِ الشيطانُ أنْ يمشيَ في طريقِ فيه عمرُ ﷺ.

رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[2]، أي غير طريقك.

وأما عثمانُ بنُ عفانُ ﷺ فهو ثالثُ خلفيةٍ للمسلمينَ، وأحبُّ الناسِ وأفضلُهم في الإسلامِ بعد عمرَ ﷺ؛ وهو أحدُ من بشَّرَهُم النبيُّ ﷺ بدخولِ الجنةِ.

وهو الذي كانتْ تستحي منه الملائكةُ.

رَوَى مُسْلِمٌ عن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦).

عَائِشَةُ: دَخلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ.

فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ**»(١).

وهو الذي جمعَ القرآنَ الكريمَ في مُصحفٍ واحدٍ.

رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ ﷺ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ ﷺ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلَافَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى.

فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «**أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ**».

فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: «**إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ**».

فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ، أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ(٢).

وأمَّا عليٌّ ﷺ، فهو رابعُ خلفيةٍ للمسلمينَ، وأحبُّ الناسِ وأفضلُهُم في الإسلامِ بعد عثمانَ ﷺ؛ وهو أحدُ من بشرَهم النبيُّ ﷺ بدخولِ الجنةِ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٩٨٧).

وأخبرَ النبيُّ ﷺ المسلمينَ أنَّ اللهَ ورسولَه يحبَّانه، وأنه يحبُّ اللهَ ورسولَه.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ ﷺ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ».

فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[1].

وهو منَ الرسولِ ﷺ بمنزلةِ هارونَ منْ موسى ﷺ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟.

قَالَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[2].

وعليٌّ ﷺ هو الذي نامَ على فراشِ النبيِّ ﷺ ليلةَ مكرِ المشركينَ بالنبيِّ ﷺ.

أقولُ قولي هذا، وأَستغفرُ اللهَ لي، ولكُم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وسَلامًا على عبدِهِ الذي اصطفى، وآلِهِ المستكملين الشُّرفا، وبعد . .

فإنَّ الكثيرَ من المسلمين يسأل: ما حكمُ عوامِّ الروافضِ الإماميةِ الإثنى عشريَّة؟.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

وهل هناكَ فرقٌ بين علماءِ أي فرقةٍ من الفرقِ الخارجةِ عن الملةِ وبينَ أتباعِها من حيثُ التكفيرُ أو التفسيقُ؟

أجابتِ اللجنةُ الدائمة للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ(١):

من شايعَ منَ العوامِّ إمامًا من أئمةِ الكفرِ والضلالِ وانتصرَ لسادَتِهم وكبرائِهم بغيًا وعدوًا حُكِمُ له بحكمِهم كفرًا وفسقًا.

قالَ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ [الأحزاب:٦٣] إلى أن قالَ : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ۝٦٨﴾ [الأحزاب:٦٨].

وقالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة:١٦٧].

ولأنَّ النبيَّ ﷺ قاتلَ رؤساءَ المشركينَ وأتباعَهُم، وكذلكَ فعلَ أصحابهُ ﵃ ولمْ يفرِّقوا بين السادةِ والأتباعِ.

وسئلَ الشيخُ ابنُ بازٍ رحمه اللهُ: الرافضةُ هلْ يحكمُ بكفرهِم جميعًا ولا بعضِهم؟

فأجابَ: المعروفُ أنهم كفارٌ، عبّادًا لعليٍّ عامَّتُهم وقادتُهم؛ لأنهم تبعُ القادةِ، مثلُ كفارِ أهلِ مكةَ تبعُ أبي سفيان، وأشباهِه؛ لأنهم مقلِّدُون لهم راضونَ بما هم عليهِ.

والرسولُ ﷺ قاتلَ الكفارَ، ولم يفرقْ بينهم، والصحابةُ ﵃ قاتلوا الرومَ وقاتَلوا فارسَ، ولم يفصِّلوا بين العامةِ وبين الخاصةِ؛ لأنَّ العامةَ تبعُ القادةِ(٢).

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٣٧٧).

(٢) الشريط الثالث من شرح كشف الشبهات؛ للشيخ ابن باز.

الدعاء . . .

• اللهم إنا نسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير المات، وثبتنا، وثقِّل موازيننا، وحقق إيماننا، وارفع درجاتنا، وتقبل صلاتنا، واغفر خطيئتنا.

• اللهم إنا نسألك الدرجات العلا من الجنة.

• اللهم إنا نسألك فواتح الخير، وخواتمه، وجوامعه، وأوله، وآخره، وظاهره، وباطنه، والدرجات العلا من الجنة آمين.

• اللهم إنا نسألك خير ما نأتي، وخير ما نفعل، وخير ما نعمل، وخير ما نبطن، وخير ما نُظهر، والدرجات العلا من الجنة آمين.

• اللهم إنا نسألك أن ترفع ذكرنا، وتضع وزرنا، وتصلح أمرنا، وتطهر قلوبنا، وتحصن فروجنا، وتنوِّر قلوبنا، وتغفر لنا ذنوبنا، ونسألك الدرجات العلا من الجنة آمين.

• اللهم إنا نسألك أن تبارك في نفوسنا، وفي أسماعنا، وفي أبصارنا، وفي أرواحنا، وفي أخلاقنا، وفي خُلُقنا، وفي أهلنا، وفي محيانا، وفي مماتنا، وفي عملنا، فتقبل حسناتنا، ونسألك الدرجات العلا من الجنة، آمين.

أقول قولي هذا، وأقم الصلاة.

❑ ❑ ❑